

روايات عبر



مآرجري هتيلتون

عذراء في المدينة



www.rewyti.com

روايات عبر

عذراء في المدينة

ميراندا ورده ريفية بيضاء ، جاءت الى لندن لتعمل في شركة مديرها العام جايسون معروف بمغامراته العاطفية . الجميع يخافون جايسون وهو دائما على سفر ، لكن الظروف تشاء ان يلتقيا ، هي العذراء البريئة برأسها المليء باخلاقيات وتقاليدها تعتبرها المدينة الكبيرة بالية . وهو بسطوته وخبرته في المجال العاطفي .. وتلتصع بينهما تلك الشرارة الغامضة التي لا يستطيع مخلوق أن ينكر سلطتها على القلوب . لكن جايسون لا يبوح بحبه ، وحتى بعد الزواج تبقى اشباح الماضي مخيمة على حياتهما . فهل تزوج جايسون لأنه سئم مطاردة النساء ، ام تراه حافظ على علاقة مشبوهة في الظل ؟
حدث قبيلة في الطائرة العائدة به من إحدى رحلاته يكشف لميراندا كل الحقيقة .

١ - من ينام في المكتب ؟

للمرة الثانية خلال عشرين دقيقة، أغلق باب المنزل رقم ٣ في "بايرن سكوير" بعنف كدر سلم الميدان الذي تحف به الأشجار .

ارتعد الباب في اطاره، وتوقفت قطعة رمادية مخططة عن لعق وجهها، لتتنظر فيما يشبه اللوم الى الرجل الطويل المضطرب الذي ينزل الدرجات الست المؤدية الى الرصيف . ثم ما لبثت أن أستانفت تنظيف فرائها الناعم لكن ما أن انقضت ثوان أخرى، حتى دوى صوت اصطفاق ثالث معدني هذه المرة . اذ ركب الرجل السيارة المرسيديس الحمراء التي كانت تقف قرب الحاجز الحجري للطريق وأغلق بابها بعنف ثم أنطلق بها بسرعة مزعجة .

انغمس جاسون ستيل في طوفان المرور المتدفق مقتنعا في قرارة نفسه بأن لديه كل المبررات ليفقد أعصابه . فقد جعلوه يبدو مغفلا طوال الوقت . نعم، بدد وقته، وفقد البقية القليلة الباقية من ايمانه بالطبيعة الانسانية . كان أعمى مسلوب العقل أحرق لينفق كل هذا المال على تلك المرأة ... يا للنساء، وقلوبهن الفولاذية وعقولهن الصغيرة التي تختفي وراء وجوه بريئة وأجسام مستسلمة، كالحيات السامة . لن يتكرر ذلك . قال هذا من قبل لكنه هذه المرة يعني حقا ما يقول . استغفلته المرأة مرتين في حياته، لكن كان هذه

المرة أكثر حرصاً .

وأوقفته اشارات المرور ثلاث مرات فزمجر صائحاً في المرة الثالثة: يا الهي!

انه يريد صحبة الرجال الطيبة، فمع الرجل تعرف على الأقل أين أنت وتستطيع أن ترد الهجوم بمثله . وتقلصت أصابعه على عجلة القيادة . كان في أمكانه ان يتهور ويخفق "مايك فريزر" الرجل التالي له في العمل والذي كان يثق فيه . . . غير انه كان طوال هذا الوقت هو وكاترينا . . .

وبعد أن رشف قدحين من الشراب شعر جاسون انه أكثر هدوءاً لكن مزاجه لم يزل معتلاً . فخرج وحقق في السماء المليئة بالسحب ثم نظر في ساعته فوجد أنها تجاوزت الثامنة مساءً بقليل، وقرر فجأة أن يذهب الى مكتبه ليأخذ مذكراته عن الاتفاقية الاضافية مع شركة سترانجكو . لقد فسدت أمسيته في أية حال، وأصدقائه غير موجودين الليلة وفقد شهيته، فضلاً عن أنه مكبل بأعمال كثيرة متأخرة، إذ أضاع وقته في الأسابيع القليلة الماضية على تلك المرأة وتراخي في عمله .

كان المقر الرئيسي لشركة كارونا ستيل يشغل برجاً من الأسمنت والزجاج ارتفاعه ٢٤ دوراً ويطل على التيمز قرب محطة بلاك فرايرز . وكان مكتب الاستقبال فيه ما يزال مضاء بنور خافت . ولمح في جزء مرتفع من المبنى ضوءاً دل على أنه ليس خالياً تماماً، كما اعتقد جاسون وهو يوقف سيارته .

صعد الى الطابق الواحد والعشرين وسار الى مكتبه على سجاد سميك يمتص صوت وقع الأقدام مهما علا، لكنه توقف بغتة . فقد أدرك بغريزته أن هناك شيئاً ما غير طبيعي، وأن الضوء الذي لمح من الخارج كان منبثقاً من مكتبه . عبس وجهه واكفهر . فقد ترك مكتبه منذ ما يزيد على ساعتين وهو بالتأكيد لم يترك النور مضاء . سار وهو حريص ألا يحدث صوتاً وتوقف قليلاً أمام الباب ليندفع اليه فينفتح له . بدا المكتب خالياً للوهلة الأولى، لكن النظرة المدققة أوضحت

انه لم يكن كذلك . فقد رأى قمة رأس تظهر من ظهر الكرسي الضخم الذي يواجه الباب . فتقدم ليضغط على جرس الانذار مزمجراً: . . .

لكن الكلام تجمد على شفثيه عندهما التفتت اليه فتاة عيناها مملؤتان رعباً ويدها الصغيرتان تتشبثان بعنف بظهر المقعد، وقمها يستدير في تعبير عن الفزع والاضطراب، وحاولت أن تقول شيئاً لكن الاضطراب غلبها . واستعاد جاسون رباطة جأشه ووصل الى الكرسي في ثلاث خطوات مسرعة . وانكمشت الفتاة من منظر الغضب البادي على سحنه محاولة الافلات من نظرتة . كانت نصف جاثية على ركبتها في الكرسي فأمسك بذراعها ورفعها بعنف وصاح:

"أي شيطان أنت؟ أي جحيم أتى بك؟"

ولم تخر جواباً فقد بدت وكأنها الصدمة جمدها، أخذ يهزها بقوة ألماتها فقالت:

"أنا . . . أنا . . . ألا تعرفني ياسيد ستيل؟ أنا أعمل هنا ."

"كلا أنت لا تعملين هنا . هناك نحو خمسمائة موظف في هذا القسم، وربما أكثر، ولم يتح لي وقت للتعرف اليهم جميعاً ."

مرت بيدها على العلامات التي غرستها أصابعه في جلدها الرقيق وقالت:

"أنا أعرف ذلك . أنا آسفة ان أفرعتك ياسيد ستيل ."

رأى تقلص حلقها وهي تزدد لعابها لكن نظرتة لم تلتن وقال لها:

"حسناً، اني أنتظر تفسيرك يا آنسة . . . أيا كان اسمك ."

خامرتة بشأنها عدة ظنون لم يكن أي منها ساراً، وأضاف بعبوس ونفاد صبر:

"فسري الأمر، أم هل تودين انتظار الشرطة؟ أجيبني من أنت؟"

ففزعنت من ذكر الشرطة وقالت لاهفة:

* لا . أن اسمي ميك ميراندا روزميك .
* أنا في انتظار تفسيرك يا آنسة *ميك* .
* من الصعب تفسير الامر . .
* ذلك ما يقال عادة * .

* أعرف . ان كل هذا لابد أن يبدو شنيعاً ، ولابد أنك
اعتقدت

وفجأة وقع نظرها على حقيبتها المفتوحة التي تبدو منها
ملايسها الداخلية فانحنى بانفعال شديد وأغلقتها ثم أضافت:
* أنا آسفة للغاية لأنك صدمت عندما دخلت ووجدت كل
هذا

وبدا أنها تجد صعوبة في الاستمرار فتوقفت وتحولت عن
نظراته التي تحمل معنى الاتهام . وقال جاسون بقوة:
* الدموع لن تؤثر في . أصفي الي ، فأنا أنوي الحصول على
تفسير لهذا الاقتحام قبل أن أفصلك بنفسى وألقي بك خارج
المبنى مع كل الزبالة التي حملتها معك * .

* أنا آسفة ياسيد ستيل انه خطأ لا يغتفر . أنا أعرف ذلك .
لكني لو استطعت فقط أن أجعلك تفهم ، لكن
وهزت رأسها وبدأت في جمع السندويشات والشوكولاتة
وألقت بها جميعاً في الحقيبة ونظرت الى علبة الحليب
والتقطتها ثم أعادتها الى مكانها في يأس ، وكررت:

* أنا آسفة . أنا . . . كل ما أستطيع قوله أن مخاوفك لامت الى
الواقع بصلة . فأنا لم أت للسرقة . لك أن تفتش حاجياتي ان
لم تصدق . وأنا أدرك تماماً أن لك كل الحق في أن تغضب ،
لكني سأذهب الآن و

فسد طريقها الى الباب وأمسك بذراعها قائلاً:
* لا . .

توقفت فوراً ونظرت اليه . وامتزجت رموشها الحريرية
الطويلة بالدموع وبدت آثار البكاء واضحة حول عينيها ،
وقالت:

* دعني أذهب ، أرجوك . لا أستطيع ان أفعل شيئاً أكثر من
الاعتذار * .
* دقيقة واحدة ، لم أنته بعد ، هل هذا هو كل ما تستطيعين
قوله ؟

* ما الذي تتوقع مني أن أقوله ؟
* تستطيعين أن تقدمي تفسيراً أكثر اقناعاً * .
وتنهدت قائلة:

* هل ستصدقني ؟ وهل أنت على استعداد حتى لأن تصغي الي
مجرد اصغاء دون أن تنهال علي بالاتهامات ؟
* لماذا أيتها الوقحة البذيئة ؟

كان صوته عاصفاً على نحو بدا غريباً حتى في أذنيه .
وانتابه احساس سبب له اضطراباً ، احساس يشبه الخجل
وأدرك أنه أفرط في صب جام غضبه عليها . لكنه أعطاها
فرصة للدفاع عن نفسها ولم تفعل وقال لها متذمراً:
* أنا مصغ اليك * .

وأخذت نفساً عميقاً واستدارت اليه لتواجه نظرات الاتهام
في عينيها ، واستعادت قدراً من تماك النفس ، ورغم أن
عينيها كانتا تموجان بدموع بدت معتزة بنفسها وهي تقول:
* من فضلك ، دعني أذهب ، أنك تؤلم ذراعي * .

وانقلب الميزان بصورة ما وبدأ هو يحس أنه غير مرتاح
وانتابه شعور غريب مقبض وقال:
* لا أنوي أن أتركك . لماذا جئت وأثرت كل هذا الاضطراب ؟
* لم أقصد هذا أبداً ، لو عرفت أنك ستعود الليلة لفكرت في
شيء آخر لكني لم أتوقع أبداً
* فكرت في ماذا ؟ بديل لماذا ؟

وتنهدت قائلة في يأس:
* اعتقد أنه علي أن أخبرك ، والا لن تصدقني أبداً: كنت
أأمضي الليل هنا * .
* هنا في مكثبي ؟

فاومات مؤكدة، فقال لها:

"لكن لماذا؟"

"لماذا يقضي انسان الليل في مكان ما؟ لأن قضاءه في الشارع ليس اكثر مدعاة للسرور".

وفضحت عيناه دهمسته وهو يقول:

"أليس لك بيت؟"

فابتسمت بوهن ثم قالت:

"أشارك ثلاث فتيات أخريات في شقة. واعتقد أنه يمكن أن نسميها بيتاً".

"أذن لماذا لم تذهبي الى هناك الليلة؟"

فخفضت عينيها وحولت وجهها بعيدا وهي تقول:

"أستطيع أن أقول أن نوعا من الطوارئ منعني".

"هل هو المرض؟ هل تواجهين مشاكل من نوع ما؟"

وتقلص قمها بمرارة وسخرية وهي تقول:

"كلا، على الأقل ان لم تعتبر الموقف الذي اجتازه مشكلة".

"أذن لماذا؟ بصراحة ان كلامك غير منطقي".

"أعرف. لكنني أشك أنك ستفهم اذا أخبرتك بالحقيقة هل

تصدقني اذا قلت لك أنني، لم أت لأسرق؟ كل ما كنت أريده

هو مأوى لقضاء الليل".

ورأى نظرتها تجول عبر مكتبه حول ولاعة المكتب الفضية

والقلمين الثمينين، وصندوق السكائر الكريستال المحلى

بالذهب الذي كان الهدية الأولى الوحيدة التي أعطتها كاترينا

له ثم ردت بصراخها اليه وهي تقول:

"ألا تسمع أن تقبل اعتذاري وتدعني أذهب؟"

"الى أين؟"

"هل هذا يهم؟"

"يجب أن يكون لك مكان تذهبين اليه؟"

"تلك مشكلتي، أليس كذلك؟"

وجمعت حاجياتها ومشت الى الباب، فقال لها:

"دقيقة واحدة".

فاستدارت اليه وعلى وجهها سيماء التحفز. ورأى استعدادها للدفاع مرتسماً على شفتيها الصامتتين المنضغطين فقال لها ببطء:

"ما الذي يجعلك متأكدة أنني لن أفهم؟"

"لأنك في حالة غضب شديد ثم لماذا تهتم أن تفهم؟"

"ألا تعتقدين أنك مدينة لي؟"

"قلت لك، أنني أشارك ثلاث فتيات أخريات شقة، ولا أعرف ما اذا كنت قد جربت أن تعيش في ثلاث غرف صغيرة مع ثلاثة أشخاص آخرين. الحياة الخاصة هناك ثقل لأقصى حد، بل تنعدم فعلاً. والأمور يمكن أن تسير فقط اذا قبلت ذلك، وحاولت ألا تنفخ عن غضبك".

وترددت مرة أخرى، فأحس بالحنق. لماذا لا تدخل في الموضوع؟ من الواضح أن شجاراً ما حدث وأن زملاءها القوا بها الى الخارج لكن الامر لا يستدعي أن تأخذ الامر بهذه الخطورة، وقال لها:

"ان هذه الأشياء تحدث في كل الأوقات، ويتعين عليك أن تتعلمي الصمود وألا تنهاري. هل طردتك زميلاتك عنوة أم تركت لهن الشقة بمحض ارادتك؟"

"كلا، لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. أنت لا تفهم المسألة. الأمر مقصور على هذه الليلة بالذات. لم يكن مناسباً أن أقضي هذه الليلة بالذات معهن".

بدأ يدرك الموقف، وضحك. لا بد أن خياله شاخ اذ نسي المشاكل التي تواجه الانسان وهو يقوم بمغازلة فتاة في غير منزله الخاص، وعاد بذاكرته الى الوقت الذي أمضى فيه ستة شهور في فرع باريس، ومشاكل المشاركة في الشقة عندما كان يحضر كل حبيب حبيبته ويتعين عليه أن يتأكد أولاً من خلوها، واضطرار هؤلاء الى البقاء في الخارج. أخذ جاسون يتذكر كل هذا مبتسماً لكن الفتاة عاجلته قائلة بحدة:

* ان الامر ليس ترفيها *

* آسف، كنت أفكر في شيء آخر *

* انك لم تكن تصغي حتى مجرد اصغاء، بعد أن أحدثت كل هذه الجلبة *

* كنت أصغي اليك، لكن لماذا كل هذا الانزعاج، اذا كانت زميلتك تريد أن ترفه عن شخص دون وجودك فيمكنك بالتأكيد أن تحضي الليل مع أحد الأصدقاء أو تذهبي الى فندق لهذا الغرض *

* الفنادق تكلف المرء نقودا *

فهو كتفيه وهو يعجب لماذا يهتم بأن يقدم لها الاقتراحات، الأفضل أن يتخلص منها ويجمع مذكراته دون أن يبدد المزيد من الوقت، وسحب مفاتيحه واتجه ليفتح الدرج الأعلى من المكتب، فقالت لم دون مواربة:

* اننا في أواخر الشهر، وأنا مفلسة وأنت لم تزل غير مدرك للامر *

* يا أنسة ميك، هل هناك ما يتعين ادراكه سوى أن لك موهبة مرموقة في أن تعطي لنفسك حريات فاضحة؟ *

لم تحر جوابا ولكنه رأى ظلا عبر مكتبه فرفع عينيه وراها متجهة الى النافذة، حيث نظرت محدقة الى تلك السجادة اللامعة من أضواء لندن التي تمتد الى السماء السوداء، وقالت ببطء:

* زميلاتي سيشتريكن في حفل من نوع خاص ويرغبن مني المشاركة فاعتذرت ولهذا انا هنا *

وهنا بدا وجهه متجهما، في صوتها الصريح شيء جعله يتجههم، ورغما عنه شعر للمرة الثانية بأنه غير مستريح، أي شيطان ساق اليه هذه الفتاة؟ وسألها:

* ماذا تعنين؟ نوع خاص من الحفلات؟ *

وأحس بأهتها قبل أن يسمعها، وكان أول ما تبادر الى ذهنه أنه حفل لتعاطي المخدرات، لكنه قبل أن يصرح

بظنونه قالت له في ياس:

* انك تعتبر الامر شيئا مسلما به ولا يثير الفضول، وكل من لا يسير في ركاب هؤلاء القوم يعتبر جبانا ورجعيا *

فأجابها بحدة:

* اذا كنت تقصدين ما أعتقد أنك تعنيه - وهو المخدرات - فاني لا أقبل ذلك ولا أسلم به، واذا كان هذا هو ما يجري في شقتك وتريدين أن تبتعدي عنه، فابتعدي ولا تبالي بما يقال عنك *

لا بد أن كلماته كشفت عن اشمئزازه على نحو لم يتوقعه هو، فقد أدارت رأسها وبدأت تتأمله وابتسامة الاجهاد على شفيتها وهي تقول:

* أليس هذا هو ما فعلته؟ فلم كل هذه الجلبة؟ انها لم تكن حفلة مخدرات هذه المرة ياسيد ستيل، انما حفلة حب *

* هل أنت رجعية يا أنسة ميك؟ *

* لا أعتقد أنه يعينك ما أكون، واني لأتساءل، هل كل هذا الوقت الذي ضيعناه لا جدوى منه، لا أقصد وقتي بل وقتك *

ووقفت صامته يختلط القلق والفضول على وجهها كما لو كانت تنتظر الاذن منه لكي تهرب، ثم أضافت:

* انا... أنا لا أستطيع أن أبقى هنا الآن، ولذلك اذا كنت... *

وأبدت اشارة تدل على رغبتها في الانصراف، وأحس هو فجأة بالرغبة في الخروج من المبنى، ونظر الى ساعته وأدهشه أن ساعات انقضت وليس فقط عشرين دقيقة منذ أن دخل المبنى، ووضع الأوراق في حافظته ونظر الى أعلى ليري أن الفتاة لم تتحرك، كانت واقفة بلا حراك تحملق فيه فقال لها:

* تعالي، تناولي بعض الطعام *

* ماذا؟ *

* قلت تعالي تناولي بعض الطعام *

* معك ؟

* ولم لا ، هل هناك شيء منفرد يبرز من أذني .
وهزت رأسها في يأس قائلة:
* كلا ، لكن ... أعتقد ...

* أوه ، بحق السماء كفي عن الجدل ، لا تخشي أن أكلك .
* نعم أعرف ذلك ، لكن ... لكني لا أفهم .
* لست مجبرة على الفهم . أنا جوعان ، ولا أحب أن أكل
لوحدي .

فتقدمت للأمام غير واثقة ، ثم توقفت وقالت:
* ليس لي أن أعتقد أنك أردت أن تأكل معي .
تنهد جاسون وكظم غيظه وهو يقول:

* اسمعي يا فتاتي . لا أعتقد أنك في وضع يسمح لك بالتفكير .
أما أن تفعلي ما أقوله أو أدعو الحارس ليلقي بك الى الخارج ،
ماذا تختارين ؟

* لم تترك لي الخيار . حسناً ، لكن هلا بسي لا تتناسب مع
الأماكن الراقية التي أعتقد أنك تتردد عليها .
* لن أتردد على أي منها الليلة . سنذهب الى حانة صغيرة
هادئة .

التقطت حقيبتها وسارت نحوه وهي تقول متشككة:
* هل هناك حانات هادئة ؟

اصطحبها الى الخارج قبل أن يطفىء النور وهو يقول:
* الصبغة وليس المكان ، هي التي تحدث الضجة .

بقيت بعيدة عنه تنظر الى اللوحة المضيئة والمصعد يهبط
بسرعة وهدوء للطابق الأرضي .

ونظر اليهما الحارس الليلي قبل أن ينظر لزميله ، وأدرك
جاسون أن التكهّنات ستكثر بعد رحيلهما وراة ميك كلب
الحارس فقالت:

* أي كلب رائع هذا !

* لا أعتقد أن هذا سيكون رأيك لو أنك اصطدمت به

خلال الليل .
* لا ، لا أظن .

وانتابه وهو يفتح السيارة الاحساس الذي شعر به في
المصعد وأخذ يتساءل عما يدور في رأسها ؟ هل هي متحجرة
فعلاً كما تبدو ؟ أم أن تلك تمثيلية أخرى فحسب ؟

اتجه الى الجنوب الغربي ، كان في منتصف الطريق الى
مكانه المختار عندما اتخذ للمرة الثانية في الليلة نفسها قراره
المفاجيء والغريب ، ففي التقاطع التالي اتجه يمينا وتجاوز
غرين بارك متجها الى حي سوهو .

ولم تتخل عن صمتها وهي تنزل من السيارة ، لكنها للمرة
الأولى اقتربت منه قليلا وهما يقتربان من مدخل مظلم . وحياء
البواب باسمه ، وفتح لهما الباب ، وأحسا بالجو الدافئ
العبق . ونظرت اليه الفتاة مرة أخرى وهو يصطحبها نازلين
عبر سلالم حلزونية ضيقة . وكبت جاسون تكشيرة أوشكت أن
ترسم على وجهه عندما بدأ يستعيد ذكرياته في هذا المكان .
كان الوقت ما يزال مبكرا ، وهناك عدد من الوجهاء وعدد
أقل من الصبية يتناولون العشاء . وكان الحائط المخملي
الأسود يشكل خلفية تبرز الملابس الملونة ، خاصة الأكثر
غرابة .

وعندما جلسا وجهت ميراندا نحوه عينين تنطقان باللوم
وهي تقول:

* قلت أننا سنذهب الى حانة هادئة .

* غيرت رأيي .

* هلا بسي لا تتناسب مع مكان مثل هذا .

* هراء فهنا تستطيعين أن تلبسي أي شيء .

* ربما ، لكني أود لو لم أكن بملايس العمل .

فقال وعيناه تجولان في ملامحها:

* أنت تبدين في خير هيئة . وفي أية حال لا أجد فرقا كبيرا
بين ملابس العمل التي ترتديها الكثيرات من

الموظفات العاملات معنا وملابسهن في الأماكن الأخرى.
هناك فتاة واحدة فقط في الحسابات تبدو دوماً كأنها في
طريقها إلى السهرة*.

*أوه... إنها الآنسة هارفي، ذوقها رائع في الملابس، لكنها
تعمل مساعدة رئيس الحسابات، ومن ثم تستطيع أن تمتع
نفسها*.

في أية حال، فأنا نفسي مازلت بملابس العمل.
أنت مختلف.

شعر بالسرور ولم يستطع أن يقاوم الاغراء الدائم بالحصول
على ثقة النساء، فقال:

*كيف؟ لماذا اختلف عن ذلك العدد اللانهائي من رجال الأعمال
في المدينة*؟
هل تود حقاً أن تعرف؟

جعله الصوت الهادي والأمانة البادية في عينيها الجادتين
يخجل من رغبته الخفية في الحصول على إعجاب النساء، وقال
بصراحة:

*مركز الانسان في القمة أمر له مساوئه، كما تعرفين. فإذا
حدث خطأ ما في العمل فعليه هو أن يتحمل المسؤولية بينما
المساهمون في الخطأ لا يرحمون*.

*أنت مختلف لأنك تستطيع أن تذهب لأي مكان في العالم.
وإذا أشرت لتاكسي فانه سيقف والفرسون يراك دوماً لحظة
دخولك. وإذا أعطيت أمراً فلن يكون عليك أن تنتظر لترى ما
إذا كان سينفذ. انه ينفذ دوماً. الناس يطيعونك غريزياً لأن
لك سيماً السلطة. تلك هبة. أعتقد ذلك، وهي الهبة التي
يترتب عليها الفرق بين النجاح والفشل في الحياة. وهذا هو
السبب في أنك مختلف*.

قال جاسون مندهشاً:

*بالسماوات، من أين جئت بكل هذا، أنت لا تعرفينني حتى
مجرد معرفة*.

ليس من الضروري أن تعرف شخصاً لتحكم على قدراته.
رفع جاسون ذقنه قليلاً وهو ينظر بلا تركيز إلى الطعام الذي
وضعه الفرسون أمامهما وقال:

هكذا يبدو الامر.

وأخذ يتساءل هل تفكيرها عميق حقاً، أم أن موقفها
المحافظ هذا ليس سوى رد فعل للتهديدات التي وجهها اليها
عندما وجدها في مكتبه؟ هل كانت هاربة حقاً من الحب أو ما
يسمونه هذه الايام الانغماس في المجون؟

واستعاد ألياً طبيعته الساخرة الأخاذة التي أصبحت طبيعة
ثانية يستدعيها عندما يجالس النساء. ونادراً ماخذلته هذه
الطبيعة والآنسة ميراندا لا تشذ عن ذلك. اذ بدا أن رهبتها
منه ضاعت، وأن تجاوبها يتزايد وترد على أسئلته فوراً وان
كان بحياء وخجل. وبدأت تتكون في مخيلته وتكتمل صورة
عنها. ولم يندهش عندما اكتشف أنها يتيمة وانها نشأت منذ
أن كان عمرها عامين في كنف عمّة لها، ولم يستغرق الامر
وقتها طويلاً ليعرف أن تربية هذه العمّة واسمها هيستر كانت
حازمة متزمّنة وحانية في الوقت نفسه. وقال معلقاً على
حديثها حول عمّتها:

*أعتقد أنك بذلت جهداً مضمناً لتحصلي منها على حريتك.
فالحارس الصارم يمكن أن يكون أكثر تشدداً من الأبوين*.

عمتي هيستر لم تكن صارمة.

أصحيح أنها لم تكن كذلك؟

ماتت منذ أربعة شهور.

شيء يؤسف له.

وساد السكون لحظة، وبدأ يخشى أن تبكي، لكنها هزت
رأسها وقالت بصورة أدهشته:

يبدو أنني أسرفت في ذكر حماقات كثيرة عن نفسي.

*كلا، اطلاقاً، اشرح لي كيف أحسست عندما أصبحت فجأة
تتحملين مسؤولية حريتك، بعد تلك التربية

ردت بهدوء:

"كان الأمر مربعاً في البداية، فقدت القريب الوحيد لي بين الأحياء وفقدت بيتي، وفي الوقت نفسه أيقنت أنني أستطيع أن أفعل ما يحلو لي. كنت أحيانا أحس بالذنب، أعني أنني كنت أحب عمتي كثيراً، لكنني لم أكن أستطيع أن أتركها وحيدة".

"ولا حتى لكي تتزوجي؟"

وترددت برهة وبدا التفكير في عينيها وقالت:

"غريب أن تقول هذا، من فضلك لا تضحك، لكن..."

فقاطعتها قائلاً:

"لماذا هو غريب؟"

"كان حلم طفولتي أن أصبح عازفة بيانو، لكن العمة هيستر لم توافق على أي شيء يربطني بأعمال الترفية. وقالت إن علي أن أفكر في أمر أكثر أمناً ويعول عليه لمستقبلي، مثل العمل بالسكرتارية أو التعليم".

"كانت تلك نبوءة من جانبها".

"كانت على صواب حسب أسلوبها في الحياة. وأكدت لي أن مواصلة تعلم الموسيقى معناه تبديد النقود لأنني لابد أن أتزوج يوماً ما أو أستقر في أسرة".

وتأمل جاسون سيكاره وقال:

"لابد أنه كان في ذهنها زيجة معينة لك. فهل هذا من أحلامك الآن؟"

"أحلام... لا يبدو أن هذه هي الكلمة الصحيحة".

فسألها بتكاسل:

"أذن ما هي الكلمة الصحيحة؟"

"فكرت لحظة ثم قالت:

"لا أعرف، لكن كلمة أحلام تعبر عن السعي لتحقيق أهداف ذاتية، وذلك ليس الموقف السليم بالنسبة إلى الزواج".

لمست بكلامها هذا وترا حساساً في نفسه فشمع بالامتناع، وأصبح صوته قاسياً وهو يقول:

"لا أعتقد ذلك".

وفكر في تغيير الموضوع لكنه قبل أن يتكلم عاجلته قائلة:

"الزواج يجب أن يكون هو الذرة في كل العلاقات الإنسانية. وعلى الناس أن يتناولوه بجدية أكبر وبلا أنانية، وأن يدركوا أن العلاقة الطيبة لا تتم فجأة أو بصورة سحرية. بل يتعين بناؤها واكتسابها شأنها شأن أي شيء آخر".

قال ساخراً:

"هذا يعني أن البعض يكسب والآخرون يدفعون".

"كلا. إن هذا من أخطر المفاهيم الخاطئة التي تسود حالياً - وهو أنه يمكن شراء كل شيء مهما كانت قيمته. الحب والثقة لا يمكن أن يشتريا، بل يتعين تبادلهما طواعية. لكن الكثيرين يخشون أن يعطوا طواعية إذا لم يحصلوا على مقابل".

رمقها جاسون بنظرة فاحصة أكدت له أنها تؤمن تماماً بما تقول وكان على وشك أن يسخر من فلسفتها هذه لكن شيئاً ما أوقفه وقال بدلاً من ذلك:

"إن الأمر أكثر تعقيداً فيما يبدو. وفي أية حال أعتقد أن الزواج ليس محبذاً بين الشباب هذه الأيام".

وبقيت صامتة طويلاً لا تعلق وظهert في ملامحها إشارات اليأس والقنوط فسألها:

"ما بالك؟ إنك لم تمضي سوى شهرين في المدينة الكبيرة، فهل كان ذلك كافياً لتبديد كل أوهامك؟"

ضاعت نظرتها الزرقاء وركزتها على وجهه، واهتز كتفها النحيلان تحت وقع زفرة خرجت من أعماقها وهي تقول بصورة محمومة:

"لماذا؟ لماذا تسير الأمور على هذا النحو؟ إن كل شيء خطأ. والخطايا السبع القاتلة أصبحت مختلطة في الأذهان بل

غير مرفوضة . والعفة أصبحت في عيون الناس خطيئة ، انهم يعتقدون أن الفتاة تعتبر شاذة ان لم تقفز الى السرير مع كل رجل تخرج معه مرتين .

وساد صمت مقبض . وأحس فجأة بالاضطراب وأنه صدم على نحو غريب . وأخيراً قال :
"من تقصدين بكلمة أنهم ؟"

"الفتيات اللواتي أعيش معهن وأصدقاءهن من الرجال . أنا لا أفهم هؤلاء الفتيات وهن لا يفهمني . كل ما يستطعن التحدث عنه هو حريتهن المدهشة في أن يعشن حياتهن بالطريقة التي يردنّها ، أنهن لا يفهمن أن حرية شخص ما يمكن أن تصبح سجنًا للآخرين ."

"كيف ؟"

"لأنهن يصبحن طغاة مستبدات بمن لا يوافقهن ."

"على أي نحو ؟"

"بالسرية والتبكي ، ان لهن حريتهن ، حسنا ويستطعن أن يبدأن علاقة ما ، وان يوقفنّها في الوقت الذي يقررن فيه ذلك ، أنهن يستطعن أن يجربن كل الأفكار في الحياة و . . .
"أفكار جديدة ؟ ليس هناك أي أفكار جديدة ، كيف ارتبطت بهذه المجموعة من دون الناس جميعا ؟"

"أجبت على اعلان في عمود الاعلانات الشخصية جاء فيه : مطلوب فتاة رابعة تشارك في شقة . . . الشقة جميلة ، وقد بدون لي فتيات لطيفات . وكنت أكره دار الشباب بعد اقامتي فيها لمدة اسبوعين . في أية حال ، فالانسان لا يستطيع أن يقيم طويلا في هذه الدور ، كانت مجرد محطة حتى أجد مكانا دائما . وكنت أشعر بالحاجة الى أن يكون لي مكاني الخاص بي ، وأن تكون لي حياتي الخاصة ، لكنني اتهمت بأنني غير طبيعية . وإذا لم أنضم لتلك الحفلات يقال عني أنني مغرطة في الرجعية وصعبة الارضاء . لكن لي الحق في أن أحيا الحياة التي أريدها وفق الجادىء التي أؤمن بها . وأنا لا أحاول

أن ألقى المواعظ على الناس ، فلماذا الا أترك لشأني ."
قال يهدوء وهو ينظر اليها مليا :

"أعتقد أنك صغيرة وساذجة الى حد لا يتيح لك فهم الإجابة على ذلك السؤال الآن . أريد أن أفهم كيف تتحدثين بمثل هذه الصراحة الى غريب مثلني ؟ لأنني أعتقد أن الرجعيين والمفرطين في الاحتشام لا يثقون بسهولة في الغرباء ."
فنظرت بعيدا وقالت :

"لا أعتقد أنني مفرطة في الاحتشام كل ما في الامر أن لي مبادئ وأشعر أن الناس يهونون من شأنها ."
"لم أقصد هذا على وجه التحديد ."
فعدت ببصرها اليه وهي تقول :

"أنا أعرف لكنني أخبرتك بالفعل . فأنت مختلف عن غيرك من الناس وأنت غير متحيز على الإطلاق ولهذا اسرقت في التحدث اليك ."

وأوجت اليه غريزته بأن ينظر الى ساعته وعندما فعل اكتشف أنه مضت ساعتان . وأطفأ سيكاره وفورا حولت بصرها عنه موضحة أنها على استعداد للرحيل عندما يريد وقاما بالفعل .

وعندما خرجا الى الشارع كانت السماء تمطر بغزارة ، واجتازا المسافة القصيرة التي تفصلهما عن السيارة حينئذ قال لها :

"حسنا الى أين الآن ؟"

فتنهدت وهي تقول :

"يبدو أنني نسيت هذه المشكلة لبرهة ."

فأدار السيارة وانطلق بها وهو يقول :

"أما أنا فلم أنس . وأعتقد أن هناك اجابة وحيدة لذلك ."

"هل . . . هل ستسمح لي بأن أعود ثانية الى المكتب ؟"

"يا للسماوات ، كلا سأعطيك سريراً تقضين فيه الليلة ."

"سرير ؟ ماذا تقصد ؟ أين ؟"

"في مسكني، أين يمكن أن يكون غير ذلك؟"
"كلا! لا أستطيع! شكراً لك! لا أستطيع".

"لم لا؟ ما لم يكن هناك ترتيب بديل في ذهنك".
وأدرك من صمتها أنه ليس لديها حل بديل، وقال بلا حماس:

"أستطيع أن أقول أن لديك ثلاثة بدائل للاختيار منها: مخاطر تلك الحفلة، والبرد والبقاء في الخارج، وساحة بيكاديللي هي المكان المفضل لذلك، أو الذهاب إلى مكان تتوافر فيه كل وسائل الراحة في مكان محترم، فما هو قرارك؟"
فتنهدت في يأس وهي تقول:

"أنت تعرف أنه لا يمكن أن يكون الحل واحداً من هذه البدائل لو أنك فقط لم تعد هذه الليلة".
"لكنني رجعت. أنت لا تثقين في، وتعتقدين أنني أتأمر على براءتك".

فقال في صوت ضعيف مضطرب:

"لا أعرف كيف أفكر".

"هل الفكرة مرعبة؟ هل الأمر كذلك؟"

"كلمة مرعبة ليست هي الكلمة الصحيحة".

"نسيت أنك دوماً تبحثين عن التعريف الدقيق يا أنسة ميك هل عبارة مثيرة للاشمئزاز".

"كلا، أعتقد أن كلمة محزن كافية".

وأدت المشاعر التي كشف عنها صوتها إلى تغيير موقفه.
فاوقف السيارة فجأة وحضى بها إلى الموقف، ولم يبذل جهداً لإخفاء غضبه وأدار وجهه إلى حيث تجلس ليواجهها وعندما اقترب منها انكمشت وغاصت في مقعدها فقال لها بغضب:

"لا تنظري إلي كما لو كنت فاسقاً أسيراً للشهوات. أنا أول من يعترف بأنني أحب النساء، لكن ليس الحد الذي ترتابين فيه وعندما أريد الترفيه عن نفسي فمن المؤكد أنني لا أجد ذلك مع صغيرة بريئة مملوءة رعباً وكأنها قدمت توماً

من موعظة في العصر الفيكتوري. والآن أصغي إلي أيتها الصغيرة، سوف أعطيك فرصة واحدة أخيرة، فأغتنمها أو أذهب إلى الشيطان وإلى تلك المدينة التي تفتح أبوابها لكل طارق والتي ترتعبن منها".

كانت يداه ترتعشان وهو قابض على عجلة القيادة وأدار السيارة وانطلق بها ثانية، وهو يقول:

"هناك فندق قريب، أعرف مديره، سأحجز لك الليلة فيه حيث تكونين آمنة، وبعد ذلك أفعل ما يحلو لك. ومن الخير لك أن تبحثي عن بيت جديد، أو أن تعودتي حتى إلى بلدك. فالفتيات الصغيرات مثلك لا يجب تركهن في متاحف لندن".

ووصل إلى مسامعه صوت انتحابها مما أثار موجة جديدة من غضبه فقال ساخناً:

"بالله عليك حاولي ألا تنتحبي ونحن ندخل إلى الفندق".

"كيف أستطيع هذا؟ ليس معي نقود، لقد قلت لك ذلك".

"أنا أذكر هذا. واشك أن أي فندق محترم يقبل أن يستضيفك في هذا الوقت من الليل وبذلك الأمتعة القليلة مهما كان لديك من نقود اتركي لي هذا الأمر، ولا تجادلي ان كنت عاقلة".

ونزلت من السيارة ببطء ومضت تتعثر خلف خطواته القوية الواسعة وهو يذرع العصر القصير الذي تحف به الأشجار وعندما لحقت به قالت له:

"أسدّد لك نقودك بأسرع ما أستطيع شكراً لك على الطعام و...".

"انسى ذلك".

كان يريد أن ينتهي من كل هذا، ودفعها برفق إلى الداخل حيث أعطى تعليقاته لكاتب الاستقبال الليلي، وانتهى الاتفاق في دقائق ثم تمنى لها ليلة سعيدة وفر مسرعاً إلى سيارته.

وعندما وصل إلى بايرن سكوير كان قد نجح في أن ينزع من ذهنه كل ما يتعلق بالأنسة ميراندا "ميك".

كان نادراً ما يشعر بالحاجة إلى تحليل دوافعه وأعماله،

* كلا ، سأستقل تاكسي . لابد أن أكون معك سريعا . *

* هل أكلت ؟ *

* أثناء الرحلة . لا تشغل بالك بشيء . أنا فقط أريد أن أراك ثانية أوه يا جاسون إنه لأمر رائع أن أسمع صوتك ثانية . فقط أضيء الشموع لأجلي ، بالطريقة التي اعتدنا بها أن
وتوقف الصوت الناعم ، وانقطع الخط .

وزايلت جاسون حالة الملل ، وتسارعت دقات قلبه . للأسف ليس لديه زهور وليس هناك شموع أيضا .

فاطفأ النور الرئيسي وترك فقط مصابيح الجدار الموهنة الضوء وأشعل المدفأة وتأمل الغرفة الدافئة الجذابة .

ليسا . . . عجباً كيف تعرف دائما متى يكون في أشد الاحتياج إليها !

الا غيما يتعلق بإدارة الاعمال ، ولم يكن يريد أن يخرج على هذه القاعدة الآن ، لكن أي طفلة غريبة هذه ، كان يظن أن مثيلاتها انقرضن . وتثاءب جاسون وأحس بتعب وملل مفاجيء من نظام حياته ، فيوم الاثنين سيذهب الى بون ، ويوم الاربعاء سيذهب الى ستوكهولم ليعود الخميس الى لندن ، ثم يذهب الى نيويورك الاثنين التالي ان جدول الأسبوعين التاليين لا يبعث على السرور . ربما استطاع أن يأخذ استراحة بعد رحلة أميركا ، ربما استطاع أن يتوقف في . . . وقطع رنين الهاتف حبل أفكاره وعندما وصل اليه واستمع الى المتحدث صاح :

* ليسا . *

* هل دهشت . *

* جدا ، لكني لم

* أنا أعرف يا عزيزي ، لكن اسمع ، هل أستطيع أن آتي لأراك ؟
* بالطبع ، لكني أعتقد أنك

* ان اعتقادك خاطيء يا عزيزي . ذهبت الى ايطاليا عند اختي وكان المفروض أن أعود غدا ، لكنني عدت اليوم ، قبل الموعد بأربعة وعشرين ساعة وزوجي جيمس لا يعرف أنني عدت . لذلك فكرت أن آتي اليك وأبيت عندك . *

وفجأة وجد جاسون نفسه يقول بصوت أجش : حسنا .
فهيمست قائلة :

* مضى وقت طويل . سنة تقريبا . افتقدتك كثيرا ، ومازلت أشعر بالذنب لاني أذيتك . ولذلك فكرت في أن آتي اليك ، فربما استطعت أن أجعلك تعفو عني ربما ولذلك جئت قبل مواعيدي بأسبوع لالقاءك ، فهل كنت محقة ؟
فأجاب في اقتضاب :

* لا تدفعيني الى الاجابة على هذا . أين أنت ؟
* في المطار . *

* سأتي لأخذك ، سأصل اليك في عشرين دقيقة

٢ - عودي الى عملك يا آنسة

حتى في الساعات الأولى من بدايات أسابيع العمل وبعد العطلات الأسبوعية، لم تكن غرف الموظفين في شركة "كارونا ستيل" تخلو من جو التنافس والمناورة، ويرجع ذلك في جزء منه الى اختلاف تقييم الشركة لمستخدميها. وكان المسؤولون عن الشركة يدركون تماما أن المستخدمين يستغرقون جزءا كبيرا من بدايات الأسبوع هذه الأيام ليهيئوا أنفسهم فكريا للعمل، وأن المستخدمين بصفة خاصة لا يطحنون لهن الا بعد التأكد من أنهن يبدون في أجمل مظهر، ووفرت الشركة كافة وسائل الراحة اللازمة لكل من يعمل لديها. لذلك كانت غرفة السيدات في الطابق الخامس. وهي تضم كل ما يحتاج اليه السيدة العصرية، من مرافق الاغتسال، أجهزة وبيع العطور والمناشف، بل والثياب من الأنواع التي توجد في فنادق الدرجة الأولى.

وفي يوم الاثنين التالي للقاء ميراندا مع جاسون، كانت ميراندا في غرفة السيدات مع زميلاتها، وأرادت سوزان صديقتها شراء ثوب وفتحت حقيبتها لتحصي النقود وشفتها متحركة في صمت وهي تعدها ثم غمغمت متذمرة وهي تقول: "يا للعنة ان شراء جوارب حتى من الأنواع الرخيصة سيجعلني مفلسة اليوم. ميراندا هل يمكن أن تقرضيني جنيهين؟ من فضلك... سأردهما لك غدا دون تأخير، أعدك بذلك".

وكانت تحقق في ميراندا برجاء من خلال المرأة، وهي نافذة الصبر وأضافت:

"إذا لم تعطيني فلن أتناول طعام الغداء او سأضطر الى أن أقطع المسافة في العودة الى منزلي سيرا على الأقدام". وضعت ميراندا المشط من يدها دون أن تنطق بكلمة ومضت الى حقيبتها وأخرجت منها النقود ووضعتها أمام سوزان. تسلمت هذه قائلة:

"شكرا لك. سأظل ممتنة لك الى الأبد".

وسارعت بشراء الجوارب والذهاب لارتدائها. وعندما عادت الى المرأة لتلقي بنظرة اطمئنان على منظرها، كانت ميراندا تزال واقفة بلا حراك. وقالت سوزان:

"ليس رديئا. وان كنت أفضل الأنواع الموجودة في الآلة الأخرى، لكنها غالية فالإدارة تحقق منها ربعا كما هو شأنها في كل شيء". ميراندا ها بالك؟ انك تبدين كأنك رأيت شيء؟

سارعت ميراندا عن المرأة وهي تقول:

"أعدو كذلك. اني شاحبة بصورة طبيعية. هل أنت جاهزة؟"

سوزان

سارعت رينا هارفي زميلتها وهي تقول تعليقاً على حالة

سوزان كأنها ذاهبة الى المقصلة، ما بالك ياميك؟

سوزان

سارعت ميراندا شفتيها وهي ترى رينا هارفي، تتجه الى رينا هارفي. انها ثرثرة تتدخل فيما لا يعنيها. وانتظرت صديقتها سوزان بفروغ صبر، وعندما جاءت هذه لتتحدث عن جواربها، بينما وقفت ميراندا تسترق السمع وهي أحام المرأة وقد سمعت منها الكثير مما جعل

وجهها شاحباً . فقد عاد جاسون .

جلست ميراندا الى مكتبها ونزعت غطاء الآلة الكاتبة . آه لو علمت رينا هارفي كم كان كلامها قريباً من الحقيقة . فقد مضت تسعة أيام بالضبط على تلك الليلة التي حاولت فيها الصبوت في مكتب جاسون . كانت أعصاب ميراندا قد بلغت أقصى حدّها من التوتر . ففي ذلك اليوم كانت تنتظر استدعاءها للتحقيق ، الأمر الذي يعني إنهاء عملها ، وعندما حلت الساعة الخاصة ولم يجيء ، تجرأت وتنفست في استرخاء . وعندئذ عرفت أنه مسافر . في بون . لذلك لم يجيء أصلاً .

وفي يوم الاربعاء التالي أخبرتهم رينا التي لا يفوتها شيء أنه اتجه الى ستوكهولم ، وأنه يتوقع عودته في اليوم التالي ، وسيذهب الى نيويورك في الاسبوع التالي . وراودت ميراندا فكرة أن تتمارض يوم الخميس ، بأمل أن ينسى كل شيء عنها لدى عودته من أميركا . لكنها سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة ، هل سيهتم بأن يستدعيها شخصياً ؟ وتذكرت قوله لها " أخبريني بالحقيقة قبل أن أتمتع بفصلك شخصياً واللقاء بك خارج المبنى " .

لكنه أخذها للعشاء ، حيث أصبح ساحراً جذاباً تماماً . انها لم تخرج أبداً مع رجل مثله ، متحضر ، مطلع وجذاب بطريقة مغرية حتى وان كانت ترعبها . لا . . . لا يمكن أن يفصلها ! وتنهدت بصوت مرتفع محاولة أن تمحو ذكرى جاسون من ذهنها وأن تركز على عملها ، ولو كان لها أن تشغل بالها فذلك يجب أن يكون في سبيل البحث عن سكن آخر ملائم لها . وربما كان السكن الذي ستراه الليلة هو الحل . لكن جاسون ستميل ظل حتى وهو بعيد يسبب قلقاً لميراندا في كل لحظات يقظتها . وهر اليوم مثل أي يوم عمل آخر ولم يتم استدعاؤها ، لكن هل سيحسم شيئاً من أجرها في آخر الشهر ؟ وبعد أن تناولت طعاماً خفيفاً مضت تذرع المدينة تفتيشاً عن شقة

أخرى صغيرة تشارك فيها زميلة أخرى .

والمرة الأولى منذ أن بدأت بحثها شعرت بالتفاؤل وهي تضغط على جرس الباب .

كان الشارع يبدو هادئاً يبعث على البهجة ، والمنزل من طراز عصر الملك ادوارد ، تم طلاؤه حديثاً ، وتنسدل الستائر على كل شبابيكه . وأحسّت أن روح عمّتها هيوستر تبارك اتجاهها لهذا المنزل .

وعندها انفتح الباب ورات ميراندا سيدة سوداء الشعر تقف قبالتها مبتسمة أحست بتفاؤل أكثر وقدمت السيدة سوندرز نفسها وهي تتأمل ميراندا . ويبدو أن ما رآته منها سرها لأنها ابتسمت مرة أخرى بطريقة غير رسمية وتطوعت بإخبار ميراندا بأن تلك هي أول تجربة لها في تأجير جزء من البيت ، فقد تزوجت ابنتها وهي ارملة وتوصلت الى قرارها هذا بعد أن أخبرتها ابنة أختها أنها ستجيء الى لندن لتعمل وأنها تريد مكاناً للإقامة فيه . ومضت تقول :

" ومن ثم فأنك ستشاركينها الشقة " أرجو أن تسامحيني لما أقول ، لكن علي أن أكون حذرة فثلك أول مرة تبعد فيها جان عن بيتها وأختي ليست سعيدة بذلك فهي تؤمن بأن كل فتاة صغيرة تذهب الى لندن يعني أنها تذهب للشيطان . "

وابتسمت ، لكن وجه ميراندا البياضوي ظل جاداً وهي تقول : " نعم ، أدرك ذلك تماماً . وهذا هو السبب في أنني هنا فان روعي تكاد أن تزهرق من المكان الذي أعيش فيه حالياً . "

" نعم ان الأمر يستغرق وقتاً كبيراً حتى تجدي مكاناً في مدينة غريبة خاصة اذا كان ذلك في المرة الأولى التي تبتعدين فيها عن بيتك . هل تريدين رؤية الشقة ؟ "

" نعم لو تكرمت . "

لم تكن الشقة كبيرة ، كانت تتكون من غرفة نوم أمامية وغرفة اضافية في الدور الاول ، لكنها كانت مزخرفة بطريقة تدل على الذوق والستائر الجديدة مبهجة وجذابة . كانت

هناك خزائن واسعة، ووحدة غسيل ومطبخ*.

وقالت السيدة سوندرز وهي تبتسم:

"تستطيعين أن تضيفي الأشياء الصغيرة الخاصة بك إذا كان ذلك يسرك*."

ويبدو أنها كانت تنتظر رداً، وترددت ميراندا: "كان الأيجار أقل مما تدفعه حالياً وأخيراً قالت:

"إنها لطيفة، وتبدو معقولة للغاية*."

"ليس لدي النية أن استغل الشباب، وسنكون أنا وجان وأنت بمثابة أسرة، وضميري لا يسمح لي إلا بأن أتقاضى منك ما ستدفعه جان، متى ستنتقلين إلى هنا؟"

كانت ميراندا مملوءة غبطة وهي تعود إلى الشقة القديمة. جان لن تصل قبل الشهر المقبل، لكن السيدة سوندرز قالت إنه ليس على ميراندا أن تنتظر مجيئها حتى تنتقل إلى الشقة. ثم تحدد موعد الانتقال في عطلة نهاية الأسبوع التالية ورغم أنها لم تكن تعرف عن زميلتها في الشقة سوى ما قالته السيدة سوندرز، شعرت أنها تستطيع أن تخيا حياتها في المستقبل بلا تدخل في شؤونها.

لكنها ظلت طويلاً تفكر في أخبار زميلاتها في الشقة القديمة وأدركت أنها تخاف منهن. كن متلهفات أن يعرفن أين ذهبت الليلة التي أقمن فيها حفلهن. ورغم أنها لم تستطع أن تقاوم الرغبة في أخبارهن بأنها تناولت العشاء مع رجل، رفضت أن تكشف لهن عن شخصيته. وكان من المشكوك فيه أنهن صدقنها وأمطرنها بوابل من الأسئلة والاستجابات جعلها تتساءل بينها وبين نفسها إذا كن سيصدقنها لو قالت لهن الحقيقة كلها فيما يتعلق بتلك الليلة.

ومع ذلك فلم يكن هناك مبرر لخوفها من رد فعلهن إزاء قرارها. فلويز لم تكن تبالي بشيء سوى شؤونها في ذلك الوقت، وكانت فائدة في حالة مزاجية تدفعها للمشاكسة والفضول، وجين وحدها أثارتها فكرة البحث عن فتاة

رابعة أخرى. لكن فائدة قالت أنها تعرف واحدة وقالت جين: "إذا لم تكن هذه الفتاة مناسبة، فأنك ملزمة يا ميراندا بدفع اجرة شهر آخر. فنحن لم نطلب منك الرحيل*."

ولم تعقب ميراندا على ذلك رغم رغبتها في ذلك، إذ أحست أن مشكلة على الأقل قد حلت. وكان الأسبوع التالي مزدحماً بالعمل ومضى سريعاً وفي صباح يوم الثلاثاء طلبت من صديقتها سوزان وهما في طريقهما إلى العمل أن تعاونا في الانتقال، حتى لا تضطر إلى مطالبة زميلاتها في السكن بمعاونتها. وقالت لها سوزان:

"كنت اتساءل عما ستفعلينه، وأنا تحت أمرك تماماً، لكن لماذا لا تعاوناك زميلتك في السكن. أعتقد أن السبب هو أنك مستقلة عنهن ومن ثم فهن لسن راضيات عنك*."

"حقاً، لست أشعر بذلك. وعموماً شكراً لك. فأنت صديقة مخلصه وسأرد الجميل لك يوماً ما. انني قلقه نوعاً ما. حجزت سيارة تاكسي وأمل أن يكون السائق ودوداً، لأن حظي سيكون سيئاً لو جاء سائق شرس فيستضيع مني أشياء. ثيرة وتضطرب أحوالي*."

"نسيت أختي مرة علياً في سيارة تاكسي. كانت ذاهبة إلى حفلة ولتمضية ليلة في منزل صديقة لها، ومن ثم عبات ما تحتاجه للذهاب للعمل في اليوم التالي في العلبة. ولم تدرك ما حدث إلا بعد أن مضى التاكسي، ولم تستطع أن تتذكر رقمه. وضيعت نصف الحفل في محاولة الاتصال هاتفياً لتعقب السائق، وعندما عرفت أنه قتل لها أنه مضى في رحلة لخارج المدينة*..."

لم تكن ميراندا تصغي. فقد توقفت في منتصف الطريق إلى مصعد الشركة وأخذت تحديق عبر الردهة الرئيسية. كان جاسون خارجاً من المصعد مسرعاً لا يتلفت يمنة ولا يسرة، وكان الموظفون يقفون من أمامه ليفسحوا له الطريق وهو متجه إلى الأبواب الرئيسية. وأغلقت الأبواب من خلفه

لكنها لاحظت أن ضوء شمس الصباح قد جعل شعره الأسود المتسدل على صدغيه لامعا ومتميزا عن لون بشرته التي تشرق كالفضة . لماذا تضفي عليه لمسة الفولاذ التي يتسم بها شعره مثل هذه الجاذبية؟ وأخذت كل الموظفين الساترات في الردهة يصلحن من زينتهن في الخفاء ووقف جاسون ليتحدث إلى شخص ما خلف تمثال من الصلب ينتصب في وسط الردهة . هل كان ذاهبا؟ هل هناك شيء ما؟

وهتفت بها سوزان:

"ميراندا، ماذا أصابك بحق السماء؟"

"لا شيء... أنا..."

وحاولت أن تعود إلى طبيعتها وأن توجه انتباهها إلى سوزان . أما في داخلها فكانت أفكارها ما تزال مع جاسون وكانت هناك مشكلة أخرى تقلقها هي مشكلة دينها لجاسون، ربما كان الأمر لا يعني شيئا بالنسبة إليه، فهو رجل لا يهمه أن يذهب في رحلة لمدة يوم واحد إلى أكابولكو ليرى فتاته، لكن المسألة هامة بالنسبة إلى ميراندا . فما الذي ستفعله إذا فاتورة الفندق تلك؟ لا شك أنه ليس فندقا رخيصا . لو كان معها نقود حينذاك لأصرت على الدفع بنفسها ولكن لم يكن لديها نقود وما زالت تحس ارتجاف اللحظة التي اقتربت فيها من موظف استقبال الفندق بعد الإفطار . لم يكن ذلك سهلا .

وفي أصيل ذلك اليوم توصلت إلى قرار وقبل أن تعيد التفكير فيه ثانية وجدت نفسها في المصعد وهي تضغط زر الدور الحادي والعشرين وقبل أن يتوقف، شعرت بتوتر عنيف وساورتها بعض الشكوك . كان السكون مخيفاً وكان احساسها بوقع قدميها على السجاد السميك حائولاً لديها، وكذلك الجدران البيضاء والأبواب الزجاجية لغرفة الاستقبال الخارجية واستعدت للقاء الأنسة مايو السكرتيرة التي نهضت من مكانها واستعدت لمقابلة تلك الفتاة المقتحمة . كانت الأنسة مايو مشهورة بشدتها . لا أحد يعرف عمرها،

الذي تتراوح التخمينات حوله بين الأربعين والستين، كما لا يعرف أحد أي تفاصيل عن حياتها الشخصية، فقد قال البعض أنها ترعى والدًا مريضاً، وقال آخرون أنها متزوجة، لكنها تؤمن بفصل المسائل الشخصية عن مقتضيات العمل، وقال آخرون أنها خلية والد جاسون السابقة وأنها وعدت الرجل العجوز وهو على فراش الموت بأن ترعى شركة كاروتا ستيل طالما كان ابنه يحتاج إليها، وأيا كانت الحقيقة، فلا أحد يستطيع أن يتجاهلها إلا إذا كان جاسون هو الذي يطلب ذلك . وتفحصت السكرتيرة ميراندا وهي تطلب مقابلة جاسون وتقول لها بنصف ابتسامة باردة:

"السيد ستيل في اجتماع . هل الأمر هام؟"

"نعم أن الأمر كذلك..."

"لو تركت له رسالة، فساطعه عليها بمجرد أن ينتهي الاجتماع..."

وفجأة فقدت ميراندا شجاعتها وقالت:

"سوف... سوف... أقول للسيد... سأقول له... هاتفياً..."

وهرولت بسرعة إلى المصعد . وفقدت الأمل في لقائه، لكن اتاه الحظ في وقت لم تكن تأمله . ففي اليوم التالي كانت تتناول طعامها في الكافيتريا عندما رن جرس التليفون ورد عليه أحد العاملين بالكافيتريا، ثم خالبت أن أعلن بصوت عال سمعته ميراندا، أن السيد جاسون يطلب طعامه . لابد وأنه بقي للغداء، لكن ماذا عن سكرتيرته . وعلى الفور نهضت ميراندا وعادت إلى مكتبها وأخذت منه عشرة جنيهات لتسدد الدين الذي يقض مضجعها . وصعدت بالمصعد فوراً لتجد الطابق الواحد والعشرين مهجوراً، وتنهدت في ارتياح عندما رأت غرفة الاستقبال خالية، فلابد أن الأنسة مايو في الخارج تتناول غداءها ما لم تكن تشارك جاسون طعامه .

وتمنت ألا تكون هناك، إذ كانت تخشاها أكثر مما تخشى جاسون نفسه . ومضت في خطوات متلصصة وهي تتسمع ..

ثم رفعت يدا مرتعشة لتفتح الباب . وفي تلك اللحظة فوجئت
بالباب ينفتح ، واستطاعت ميراندا بصعوبة أن تنقذ نفسها
من السقوط .

كان جاسون هو الذي فتح الباب . وتراجع خطوة للوراء ورفع
يده كمن يدافع عن نفسه . وظل الاثنان لحظة يحدقان في
بعضهما البعض ، وكان هو أول من استعاد رباطة جأشه . وقال :
" حسناً ! "

ولم يبد في عينيه أنه يعرفها وان استمر يحدق فيها وكرر
قوله :

" حسناً ! "

وردت ميراندا وقد زابتها شجاعتها تماما :

" أنا ... أنا ألا تتذكرني ياسيد ستيل . لكنك ... أنا
الفتاة ... "

ونسيت تماما الخطة التي أعدتها سلفا ولفها الصمت فلم
تحر جوابا لفترة ثم أخذت نفسا عميقا وقالت :

" ياسيد ستيل ، أنا أسفة أن أقطع غداءك ، لكني أريد ...
أنت الآنسة ميك الصغيرة . "

وأحبط تعرفه الساخر عليها محاولتها أن تبدأ الشرح .
وتراجع للوراء وهو يقول لها :

" ألا تفضلين يا أنسة ميك ؟ "

وقضت عينها عدم ثقتها بنفسها ، ودخلت الى الغرفة
القاهرة المريحة ومضى الى الارمكة التي كانت قبلا تريد أن
تمضي ليلتها عليها وجلس وهو يقول بجفاء :

" ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك هذه المرة ، يا ميراندا
ميك ؟ "

" لا شيء ، حاولت أن أراك طوال الاسبوع الماضي . "

" حقا ، اني أتملص فعلا . "

" كلا ، لكن ... كنت أود أن أشكرك ، هذا هو كل ما في الأمر .
على ماذا ؟ هل يضايقك أن أواصل طعامي ؟ "

" أوه ، كلا ، أنا أسفة . لم يكن لي أن أقطع غداءك . لكن تلك
هي الطريقة الوحيدة لكي أجذك منفردا . اذ أود أن أعطيك
هذا . "

وأسرعت تناوله الورقة ذات الجنيهاات العشرة وأضافت :
" أمل أن تكون كافية . لكنني لا أعرف المبلغ بالضبط . وأردت
فقط أن أشكرك ، وأن أعرب عن بالغ تقديري لما فعلته ، لكن لا
يمكن أن تدفع الحساب لي . اذا لم تكن كافية فارجو أن
تخبرني . "

" ما الذي تتحدثين عنه ، وما هذا ؟ "

ونظر الى النقود في يدها فقالت :

" هذا من أجل فاتورة الفندق . "

" أوه . قلت لك من قبل انسي هذا الموضوع . "

" نعم أعرف ذلك ، لكنني لا أستطيع . "

" ألم تسمعي عن المجاملات . "

" علي أن أسدد لك . لا أستطيع غير هذا . ذلك أقل ما
أستطيعه . "

" فذبيها ، لا أريد أن أخذ مدخراتك . "

" لكن ... "

" أحذرك ، اذا وضعتها على مكتبي فسألقي بها في سلة
المهملات . "

" هل تلقي النقود في سلة المهملات ؟ "

ونظر الى تعبير وجهها المشدود وضحك على نحو غير متوقع
وهو يقول :

" ميراندا ميك ، يجب أن أحذرك : لست معتادا أن أغلب في
الجدل وأفقد حجتي . "

" اني أقدر هذا ياسيد ستيل أنا لا أريد أن أجادل ، ولا أن
أغضبك . "

" أنساءل ما اذا كانت حساسيتك المفرطة تجعلك تعانين دوما
من ذلك العائق . "

أي عائق؟

ذلك التناقض بين طابعك العنيد وبين معنى اسمك فكلمة ميك تعني الحليم. ولا أدري أيهما هو الأصل؟ هل الاسم هو الذي يثير فيك عنادا كنوع من الدفاع عن النفس؟ أم أنك حليلة بالاسم فقط؟

كلا بل حليلة بالطبيعة. ليس هذا عدلا أو رحمة. فأنا أستطيع أيضا أن أفسر اسمك ياسيد ستيل، فكلمة ستيل تعني الفولاذ.

وظننت أن مطارق غضبه ستنهال على رأسها، لكنه فجأة انفجر ضاحكا وهو يشير لها الى صينية طعامه ويقول:

هل تريدان فنجان قهوة؟

كلا، شكرا لك. وفي أية حال ليس هناك سوى فنجان واحد.

كلا، سكرتيرتي مستعدة لكل الطوارئ، فدولابها مليء بكل شيء ألقي نظرة، ستجدان فناجين بلا شك.

أفضل ألا أفعل. فقد تناولت طعامي ومضت الساعة المخصصة لغدائي وسأناخر الآن.

أنا لا أصلح عذرا لتأخيرك؟

كلا، لأن الأمر مسألة شخصية حقا.

ومال برأسه الى أحد جانبيه وعلى وجهه تعبير غير مفهوم. ثم وقف فجأة ودار حول المكتب وهو يقول:

نعم، أعتقد أن ذلك مسألة شخصية للغاية. مسألة دين وشرف وما الى ذلك. لم أكن أتوقع أن أسمع عن ذلك ثانية.

هل تعني أنك اعتقدت اني قبلت فحسب ولم أكن لأهتم بالسداد.

شيء من هذا القبيل.

لكني لا أستطيع، خاصة بعد ما فعلته أنا... وأنت لم تكن تعرفني حتى مجرد المعرفة.

*هل هذا مهم؟ لقد قدمت أنت لي بشخصيتك صورة أخرى من الناس كنت في أقصى الحاجة اليها في تلك الليلة، ومن

ثم فالمسألة ذات فائدة متبادلة.*

لا أفهم.

لا عليك، انسي الموضوع يا آنسة ميك.

صورة أخرى؟ ماذا تعني بذلك؟

هل نسيت مشاعرك المثالية. فأنت هربت من حفل عزبة تلك الليلة، وانتهى الأمر بأن دفع لك رجل أجر البيت والإقامة... ثم قاني لا أفهم سبب قلقك.

وأدهشها هذا الاتهام الضمني، وقبل أن ترد ردا مناسباً تقدم اليها ووضع يده على كتفها، وحدث في وجهها وهو يقول:

لكني أكره أن تردني الي محاولتي القيام بدور الفارس النبيل.

وقبل أن تدرك مقصده، أو تستطيع الاعتراض، أسقط النقود من فتحة قميصها وتراجع الى الوراء ونظر في ساعته وهو يقول ببرود:

اليس هذا وقت عودتك الى عملك يا آنسة ميك.

٣ - قرب النار

كانت ميراندا حريصة أشد الحرص على ألا تنفق تلك الورقة البالية ذات العشرة جنيهات .

وأعفاها انتقالها الى الشقة الجديدة مؤقتا من التفكير فيه ، فقد كانت مشغولة للغاية في ترتيب حاجياتها . وبوازع من ضميرها الحي دوما حرصت على ألا تأخذ بوصة زيادة عن حقها في نصف محتويات الشقة كالخزانة ، والرفوف . وتركزت عن عمد كل المساحات التي تخصها في غرفة الجلوس فعندما تصل جان سيقرران معا مواضع اشياء كل منهما وماذا يوضع بها . كيف تبدو جان ؟ هل ستكون ودودة ؟ هادئة وجادة ، أم مرحة ومحبة للهزل ؟ أتمنى أن تكون من محبي الموسيقى الشعبية والباليه مثلي .

وبمجيء يوم الثلاثاء ، بدأت تشعر أنها في بيتها . وكتبت لكل من يعينها أمرهم لتخبرهم بعنوانها الجديد . ونظمت المطبخ بطريقة تكفل لها الاسراع بتناول افطارها صباحا . وفي صباح يوم الجمعة جاءت رينا هارفي بنفسها الى المكتب وألقت على ميراندا نظرة خاصة وهي تقول لها :
" ما هي علاقتك بالطابق الحادي والعشرين يا فتاتي ."
" لا شيء ."

وتدخلت سوزان في الحديث وهي تسأل رينا :
" ماذا تقصدين ؟ "

ونفضت ميراندا من مكتبها وركبتها وترتعثان وهي تسأل :

" ماذا هناك ؟ "

وردت رينا بوقاحة :

" كيف أعرف ؟ السيد جاسون لا يخبر أحدا بشؤونه . والآن اذهبي يا ميراندا ولا تتركه ينتظر في قلق بحق السماء فقد أرسل في طلبك . "

كانت راحتا يدي ميراندا مبللتين بالعرق رعبا وهي في المصعد ، ماذا فعلت ليستدعيها السيد جاسون الى برج السلطة هذا ؟ انه لم يرسل أبدا يطلب أحدا من تحت سوى رئيس المديرين التنفيذيين . لا شك أنه بعد كل هذه المدة لن . . . ولا يمكن أن يكون غير رأيه بشأن العشرة جنيهات تلك .

وحاولت أن تضحك في سرها ، لكنها تأوهت بصوت مرتفع مما جعل زميلها في المصعد وهو رجل عجوز ينظر اليها في حدة . وتنفس المصعداء عندما خرج من المصعد في الطابق الثاني عشر ، وضغطت ميراندا على زر الطابق الواحد والعشرين باصبع مرتعش . كانت الآنسة هايو في انتظارها وخصتها بابتسامة وأومات لها صوب الباب وهي تقول :

" تفضلي يا أنسة ميك . "

" وأطاعتها ميراندا ودخلت ثم أغلقت الباب خلفها في صمت . ورأته واقفا الى النافذة . وظنت لأول وهلة أنه لم يسمعها وهي تدخل . لكنه قال بدون أن يستدير اليها :

" اجلسي يا أنسة ميك . "

كان صوته الأخر يبدو طبيعيا لكن ذلك لم يبدد توترها . وجلست على أقرب مقعد وهي تقول :

" أرسلت في طلبي ياسيد ستيل . "

" نعم . "

وبلا تعجل عبر الغرفة وجلس على كرسي المكتب ونظر اليها ببرود وهو يقول :

" لماذا لم تخطرينا بتغيير عنوانك ؟ "

" تغيير عنواني ؟ أنا . . . أنا . . . أنا . . . "

"من قواعد شركتنا أنه على كل - وأقول كل - الموظفين
إخطار السجلات بتغيير مكان إقامتهم الدائمة".
"لكني لم أكن..."

وتوقفت عن ادعاء أنها لم تكن تعرف وأخذت تنظر إليه في
رعب، لم يكن حقيقيا أنها لا تعرف لكنها نسيت التعليمات
التي أطلعوها عليها عند تعيينها. ومع ذلك نسيت رغم أنها
عصرت ذهنها في الأسبوع الماضي لتذكر كل شيء. وقالت
وهي تشعر بالذنب:

"أنا أسفة ياسيد ستيل. نسيت. سأذهب فورا الآن
وأخبرهم".

ووقفت وهي تقول هذا لكنه رفع يده وهو يقول:
"لم أنته بعد يا آنسة جيك".

ثم غاصت في المقعد من جديد. لماذا يحدث لها كل هذا.
وسألها:

"متى انتقلت للمسكن الجديد".

"يوم السبت الفائت. قضيت هناك خمسة أيام ونصف اليوم
فقط فحسب. وأنا واثقة أنني كنت سأذكر وأخطر السجلات".
"أين يقع هذا المسكن".

"قرب ويلو غروف إنه بعيد نوعا ما، لكنه جيد".
"كم غيرك هناك؟"

"لا أحد، إنه مملوك لسيدة تزوج كل أبنائها وأصبح المنزل
كبيرا بالنسبة إليها، وعندما كتبت لها ابنة أختها بأنها
ستأتي إلى لندن لتعمل بعد أن أنهت دراستها، فكرت السيدة
سوندرز أن تحول جزءا منه إلى شقة لابنة أختها، على أن
تشارك معها فتاة أخرى".

"والشقة هل هي جيدة؟"

"حسنا، إنها مليحة جدا".

"أليس من المحتمل أن تجعلك تلجأين إلى مكتبي في
الطوارئ؟"

لم تستطع أن تواجه التعبير الذي بدا في عينيه وخفضت
بصرها وهي تقول:
"لا أعتقد ذلك".

وضغط على زر جهاز الاتصال على مكتبه وعندما جاءه صوت
السكرتيرة قال لها:
"سأنهي خلال لحظة".

ثم نظر إلى ميراندا وهو يقول:

"أذهبي الآن فورا إلى السجلات حتى لا تنسي مرة ثانية".

وعاد له بروده ثانية. وفي غمغمة موافقة خرجت مسرعة
وحضت من فورها إلى السجلات، وهناك وجدت الرجل العجوز
الذي كان يرافقها في المصعد فأعطته البيانات وسألها عن
رقم الهاتف ثم شكرها قائلا أن هذا هو كل شيء لكنها ترددت
لحظة ثم سألته:

"هل كان السيد ستيل غاضبا؟"

"السيد ستيل؟ غاضبا؟"

"عندما اكتشف أنني لم أخبرك".

"ما الذي تتحدثين عنه يا آنسة، ان السيد ستيل ليس لديه
وقت يبده على أشياء مثل هذه".

"كلا، كنت فقط أتساءل إذا... عندما..."

وكفت عن الكلام وخرجت مهرولة. وكانت مشغولة بالبال
عندما عادت إلى مكتبها، ولم تبال بنظرات الفضول من
سوزان وزميلاتها الأخريات وسألته سوزان:

"ما الذي كان يريدته؟"

"لا شيء".

"شيء، اعتقدنا أنهم طلبوك إلى الطابق الأعلى ليشنقوك
على الأقل".

"وه، لقد كان هناك بيان خاطيء في سجلي".

"وهل طلبك جاسون من أجل هذا؟"

"نعم، وإن لم تصدقيني، أذهبي وأسأليه بنفسك".

ولم يبد على أحد أنه يود تنفيذ هذا الاقتراح، ومن ثم استطاعت ميراندا أن تستأنف عملها، وحتى عندما عادت الى منزلها تلك الليلة لم تكن قد استطاعت أن تحل اللغز، فإذا لم تكن السجلات عرفت بانتقالها فكيف عرف جاسون.

★ ★ ★

كان ذلك السؤال يبدو بلا جواب، وفي يوم الاثنين التالي، قل توترها لغيابه، فقد جاءت الأنباء بأنه رحل في تلك السفرة المؤجلة الى اميركا، لكن التوتر بدأ يعود، فالباحثون عن الترقية لدى القيادة يوسعون سلطاتهم ويخططون لاستغلال هذا الأسبوع لتحقيق طموحاتهم الشخصية لكن لا شيء من هذا يعني ميراندا، كانت تجس بخواء المكان وغياب جاسون لم يغير من عملها شيئاً، ومع أنها تدرك أن أسابيع يمكن أن تمر وهو في المبنى بدون أن تراه، أحست أن لغيابه وحشة وأن شيئاً حيويًا ينقصها.

وودت أن تقول لرينا عرضاً:

حتى سيرجع الرئيس؛ لكنها تعرف أنها لا تجربؤ على ذلك فرينا ما زالت تذكر ذلك الاستدعاء الى الطابق الأعلى الداعي للدهشة، والذي لم تشبع ميراندا فضولها نحوه، ولو سألتها فربما أجابت، حسب مزاجها، لكن الأرجح أنها ستلف وتدور حول ميراندا وتسالها عن سر هذا الاهتمام المفاجيء بحركات جاسون.

كانت ميراندا تتساءل دوماً عن رينا وعن الاشاعات التي تدور عن علاقاتها برئيس الحسابات، كان رجلاً جاف النظرات، صوته ناعم ان لم تلتفت تحاماً اليه وتركز فلن تفهم شيئاً مما يقوله، كان كبيراً في السن، أكبر من رينا التي تخفي عمرها بخذر، كانت امرأة طويلة متوهجة، لها عينا سودوان عجربتان وفم واسع، وكانت تلبس ثياباً

مثيرة تحسدها عليها الفتيات رغم أنهم يتغامزن عليها من وراء ظهرها، وكان رئيسها هذا متزوجاً، وزوجته تتردد كثيراً على الشركة لتصبه الى المنزل.

وفي منتصف الأسبوع لم يكن لدى ميراندا وقت تفكر فيه في جاسون، ناهيك عن مناورات المكتب، وفي هذا الوقت انتشر وباء الانفلونزا بين العاملين وكانت رينا هي أول من أصيب، وعند وقت الغداء أرسلت هي وعدد آخر الى منازلهم، وفي يوم الاربعاء كان عدد المكاتب الخالية أكثر من الحشوة، وفي نهاية الأسبوع كان عدد قليل فقط لم يصب لكن الناجين لم يحمداوا الله لأنهم اعتقدوا أن المرض كان سيفيهم من العمل وبدأت الشركة في توزيع أعجال الفاتيين، وتطوعت ميراندا وسوزان للبقاء في العمل بعد مواعيده في ليلة الجمعة، لكن في الساعة الثامنة من ذلك اليوم اشتكت سوزان أنها تشعر بالمرض، وعرض راي ديسدون، وهو شاب لطيف التحق منذ أسابيع قليلة أن يوصلها للمنزل واعترضت سوزان لأن ذلك معناه ترك ميراندا وحيدة في القسم، وعندئذ عرض راي أن يوصل ميراندا هي الأخرى، لكن هذه رفضت لأنها تدرك أن راي يستلطف سوزان وربما كانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها لاقامة صداقة معها، وقالت له عندما عرض عليها أن يرجع ليأخذها:

"كلا، اهتم بسوزان فقط، سأكتب هذه الرسائل ثم أضعها في صندوق البريد وبعد ذلك أرحل".

وعملت لفترة طويلة لوحدها بعد أن رحلا، وما أن فرغت من آخر رسالة حتى تنهدت في ارتياح.

ونظرت الى الساعة فوجدت أنها التاسعة، فأخذت معطفها ولم تهتم باصلاح زينتها وحملت الرسائل معها، كانت معظم الطوابق غارقة في الظلمة فيما عدا أضواء قليلة هنا وهناك، وكان العاملون في التنظيف قد مضوا منذ مدة والشارس الليلي يلق عند مداخل المصعد، يتحدث الى رجل رمادي الشعر

تعرفه ميراندا بالشكل، وكان الكلب هناك، جالسا في هدوء وترقب... وحيث ميراندا الرجلين، وأحسنت أن الكلب يتبعها بعينيه وأنه يعرفها منذ تلك الليلة.

وأسرعت إلى الشارع حيث يوجد في ركن منه صندوق البريد... عليها أن تذهب غدا لشراء حذاء جديد وأشياء أخرى، وفي اليوم التالي يوم الأحد ستذهب لرؤية سوزان... كان صندوق البريد مملوءا تماما، فقد سبقتها إليه الأقسام الأخرى واستطاعت ميراندا أن تحشر بعضا من رسائلها، دون الرسائل الكبيرة وكان من الأفضل أن تذهب إلى مكتب البريد لكنه مغلق الآن، فحاولت من جديد. ووقعت منها بعض الرسائل فالتقطتها وبدأت في وضعها في الصندوق وأثناء ذلك غمرت أنوار ساطعة أعشت بصرها وسمعت صوت فرامل واحتكاك إطارات سيارة بالارض. وصوتا يقول لها:

"هل انتهيت؟"

وتلفتت فرأت السيارة المرسيدس تقف بجوار الرصيف وجاسون ينظر من نافذتها. وأخذتها المفاجأة على غرة ولم تستطع أن تفعل شيئا سوى أن تومىء وأن تقول في فرح:

"لم أعرف أنك عدت."

"ألم تكوني تعرفين، لابد أنك افتقدتني؟"

وانتابها الارتباك، وخفضت بصرها. فقال لها:

"اطلعي، سأوصلك للبيت."

وفتح لها الباب، وأخذت تحديق فيه وقالت:

"شكرا لك، ولكن..."

وجعلها خجلها تقف حيث هي، في حين كان إرهاقها يدفعها لقبول هذه الفرصة. وقال لها:

"لا تجادلي، كان يوما مرهقا كالجحيم."

وركبت في صمت، وانطلق بالسيارة دون أن ينطق بكلمة. لم يكن يبدو عليه أي شك حول الاتجاه الذي يسير فيه، وعندما غامرت بارشاده رد ببرود:

"أعرف ويلو غروف."

"أنا أسفة، أن هذا سيبعدك كثيرا عن طريقك."

"أنت لا تعرفين طريقي."

وعاد إلى الصمت من جديد، ولم تغامر بالحديث. وعندما دخلت السيارة إلى الطريق الطويل الذي تحف به الأشجار سألها جاسون:

"أي منعطف؟"

قالت ميراندا وهي تنظر أمامها:

"الثاني إلى اليمين، المنزل الرابع."

ودار إلى اليمين ووقف بنعومة ويسر أمام الباب الرابع. وقبل أن تأخذ حقيبتها وتستعد للنزول أوقف المحرك وأطفأ نور السيارة الداخلي الذي يضيء وجهها وقال لها بهدوء:

"يا بالك؟"

"لا شيء، شكرا لك على..."

فوضع يده على ذراعها وهو يقول:

"قلت لك يا ميراندا، أنه كان يوما مرهقا كالجحيم، إلا تذكرين، لا تجادلي."

"ليس لدي أي نية في الجدل، ولم أطلب اليك توصيلي."

فأغلق عينيه في نفاذ صبر وتنهد وقال:

"ألا تعرفين أن هذه الاعتراضات المهذبة هي أكثر أنواع الجدل حماقة وإثارة للاعصاب؟ حسنا، أنت تريدني أن تكوني مهذبة وأنا أريد فحسب أن يفمر السيارة ظلام هاديء لأنزع عن رأسي تلك الأصوات المزعجة التي تبعثها الطائفة النفائسة."

"أنا أسفة، لم أقصد أن أكون قضا."

"أوه، لكنني لم أكن أعرف أقصد، لم أفهم: هل جئت من مطار توا؟"

"نواقع أنني وصلت منذ ساعتين."

وتأملته في صمت لبرهة، ورأت علامات الإرهاق حول عينيه وفيه. وأحسنت بتعاطف طاغ معه، وودت لو تزيل

الارهاق البادي على وجهه، وقالت دون تفكير:
*لو كنت عرفت ذلك لما أتعبتك بتوصيلي، هل تريد بعض
القهوة؟*
هنا.

نعم، ان اعدادها سيستغرق دقيقة فحسب.
وكان القلق واللهفة باديين في عينيها، وابتسم جاسون
فجأة وهو يقول:
فعلا أود الحصول على بعض منها.
حسنا، هيا.

وابتسمت له وهي تأخذ حقيبتها وتسرع بفتح باب السيارة.
وحدت الله أن جان زميلتها في الشقة لم تصل بعد، كان
الطابق الأرضي مظلمًا، لابد أن السيدة سوندرز في الخارج،
وسارعت بفتح الباب وأضاءت النور وقالت له:
مُسكني في الطابق الاول.

ورأت نظراته تجوب المدخل بطلائه الأبيض وستائره
الوردية والمائدة المصنوعة من خشب الورد التي تحتفظ بها
السيدة سوندرز لامعة كالمرآة دائما. لكنه لم يعلق وتبعها الى
الشقة التي بدت نظيفة ومنسقة تماما. وبدت الغرفة التي
دخلها أصغر عندما وقف في وسطها وأوقدت النار وقالت له
في حياء:

*اجلس لو تكرمت ياسيد ستيل، ساعد القهوة فوراً. هل تود
شيئا تأكله؟ ساندويشاً او خبزا مقددا عليه شيء ما. أستطيع
أن أعد لك عجة، فأنا غالبا أعد شيئا من هذا القبيل لنفسي،
عندما أقضي وقتي داخل المنزل.*

*لا تتعبني نفسك من أجلي باعداد شيء خاص، تكفي القهوة
او أي شيء موجود لديك.*

وذهبت الى المطبخ الصغير حيث وقفت برهة ثم انطلقت
الى العمل الذي استغرق بلا شك مدة تزيد على الدقيقة لكن
الصينية التي أعدها بدت جذابة للغاية. كانت

فيها ساندويشات من اللحم وحلقات البندورة، وشرائح الخيار
والبيض والبقدونس، ماذا لو لم يكن يحب الخيار؟ كان من
الأفضل أن تترك واحدا بلا خيار، ومن حسن الحظ أنها اشترت
ذلك الجبن الفاخر. وترددت بشأن كعكة الكرز من الأفضل ألا
تقدمها، فهي لديها منذ عطلة نهاية الاسبوع الماضي. في أية
حال فالرجال لا يبهون بالحلوى ووضعت اناء القهوة على
الصينية وحملتها الى حيث يجلس في غرفة الجلوس وعندها
أما قال لها:

يا للساء هل هذه حفلة؟ من سيأكل كل هذا؟
هل تريد القهوة بالحليب؟

كلا بدون حليب لو سمحت.

ورغم أنه منذ بضع دقائق قال أنه يريد القهوة فحسب، فقد
أكل ثلاثة ساندويشات وعدة قطع من الجبن ولم تبد عليه
الرغبة في الحديث، وجلست ميراندا صامتة ترشف قهوتها في
سوء. لكنه ما لبث أن قال بجفاء:

*أعتقد أنه لا توجد قواعد هنا تتعلق باستضافة الأصدقاء من
رجال.*

لا أعرف، فذلك أول مرة، لكنك رئيسي.
هل هناك فارق؟

قاومت برأسها وخفضت بصرها. كانت تحس أنها تحلم
بوجود جاسون جالسا معها يشاركها وجبة أعدت على عجل.
بعد أن انتهى قال لها:

قد استمتعت بهذا، أعاد الي الحياة.
لا ضرورة.

وحملت الصينية والأطباق الى المطبخ، وهي تنوي العودة
الى بريعا لكنها وقفت تحدق في الأطباق. كم غريبة هي
الحديقة التي تحدث بها. أشياء لا تخطر ببال الانسان. انها
لم تكن تحلم حتى بهذا. انها لم تتوقف لتسوي شعرها او
لم تنظف زينتها قبل أن تترك مكتبها، وودت لو أنها

كانت تلبس ثياباً أفضل من تلك التي كانت ترتديها . وتنهدت ونظرت لنفسها في مرآة صغيرة في المطبخ . من المشكوك فيه أن يكون جاسون لاحظ أو راق له أن يلاحظ مظهرها ، إذ كان يبدو مرهقا للغاية وتنهدت ثانية وعادت إليه .

كان الصمت غريباً وعندما وصلت إلى المدفأة أدركت السبب ، فقد بلغ الاعياء بجاسون حدا جعله يروح في سبات عميق . ونظرت إليه برهة متوقفة أن يفتح عينيه ، لكنه لم يفعل وعضت على شفتيها لتمنع كلمات كادت أن تنطق بها حتى لا توقظه . وجلست في كرسي آخر وكان من المستحيل ألا تتفحصه وهي لا تخشى الآن والنوم يلفه مواجهة نظراته الدخانية الرمادية أو الطريقة الساخرة التي يلوي بها فمه قبل أن ينطق بتعليقاته اللاذعة . وأخذت تحديق في قسماته المحددة الواضحة التي تجذب إليها الناس جميعا بسهولة وهي تأمرهم - أو تخضعهم . انها قسمات تدل على قوة الارادة والسيطرة ، وتتسم بمغناطيسية خاصة لا يتردد في استخدامها لتحقيق أغراضه لكنه وهو نائم يبدو أصغر سناً ، وأكثر شباباً . وابتسمت لنفسها وقامت إلى رف الكتب الموجود خلف مقعدها لتأخذ كتاباً تقرأ فيه لفترة تتركه خلالها يستريح ، وبعد ذلك ستسير على أطراف أصابعها لتفصل الأطباق . وعندئذ ستوقظه أصوات الأطباق ولن يحس بالوقت الذي انقضى . وفتحت الكتاب وبدأت تقرأ . لكن الأمور لم تسر حسب الخطة . إذ وجدت أنه من المستحيل أن تصرف نظرها عنه وأن تركز على الكتاب ، زد على ذلك أن الأضواء لم تكن كافية لتيسير القراءة . وأخيراً وضعت الكتاب جانباً وتركت لأفكارها حرية التنقل . أين يعيش؟ انه ليس متزوجاً ... من يعنى به؟ هل لديه منزل كبير وعدد كبير من الخدم أو يعيش في واحد من تلك الأجنحة الفاخرة حيث يكفي أن يضغط الجرس ليقدم إليه كل ما يحتاجه ، هل القصص التي تروى عنه حقيقية؟ هل هو زير نساء؟ ما هي الحقيقة حول ما يقال أنه يبدأ في قطع

علاقاته بالفتيات فور أن يبدأ في التطلع إلى الارتباط بهن؟ لكنهن يلاحقنه كما قالت رينا وإذا لم يكن لديهن احساس كاف ليتعلمن القواعد التي يسير عليها ، فلا يلمن الا انفسهن اذا أصابهن منه أذى ، ولكن أي قواعد تلك؟ لا شك أن العلاقة الأخيرة كانت كاملة واستمرت طويلاً ... علاقة حب لا نزوة للتنقل من فتاة لأخرى يعقبها انتظار قلب واحترق عاطفة .

نامت ميراندا مع تعاقب هذه الأفكار وغيرها دون أن تدري ، سقط رأسها ومال على المسند ، في الوضع الذي نام به ستيل على الجانب الآخر من المدفأة ، لم تسمع صوت الباب في الطابق الارضي وهو يغلق ، فجدران المنزل ضخمة وسميكة تمتص الأصوات ، كما لم تسمع صوت سقوط المطر على النافذة ولا الريح العاصفة وهي تضرب الأشجار . وانزلق الكتاب ووقع على قدميها فأيقظها . واعتذلت في جلستها غير مصدقة وعندئذ رأت جاسون ينظر إليها ، ويتحرك وهو يقول:

"لماذا لم توقظيني؟ يا اله السماوات ، انظري الى الوقت يا فتاتي ."

"أنا آسفة . لم أدرك ... طواني النوم أنا ايضاً ..."

"نعم ، بالتأكيد . ان كرم ضيافتك يبعث السرور البالغ ، لكن هل تتركين ضيوفك دوماً ينامون؟"

"كلا ، لكنك كنت مرهقا للغاية . ولم يطاوعني قلبي أن أوقظك ."

"كان هذا كرماً منك يا آنسة ميك ، وأنا أقدره لك ، لكنني أخشى أن أسبب لك مضايقات ، خاصة بعد يوم العمل المرهق ."

"لا يهم ، فقد السبت واستطيع أن أنام حتى وقت متأخر اذا رغبت ."

وبدا كأنه يود أن يقول شيئاً ، ثم غير رأيه . وأوما لها واتجه إلى الباب وأخذ مفاتيح السيارة من جيبيه . وأسرعت وراءه وهي تقول:

من الأفضل أن أتى معك، حتى أغلق الباب خلفك.

فتوقف وأفسح لها الطريق لتتقدمه. وسارت في صمت محاولة الحفاظ على الهدوء وهي تفتح الباب الزجاجي للردهة الخارجية. كانت السيدة سوندرز تهتم كثيرا بمسائل الأمن، ومن ثم وضعت بجوار القفل العادي رتاجين كبيرين. سحبت ميراندا الأسفل منهما لكن الأعلى كان متيبسا وأعلى من أن تصل إليه بسهولة. فتقدم جاسون لفتحه وأحدث الرتاج صريحا عنيفا وعندئذ قال جاسون وهو يهمس:

ألم تسمع صاحبة المنزل عن زيوت التزليق التي تمنع هذه الاصوات.

وأحست ميراندا بالرغبة في أن تقهقه وبالفعل أفلتت منها ضحكة والباب ينفتح وابتسم جاسون بدوره، لكن بابا انصفق من خلفهما مما جعل ميراندا تتجمد في مكانها، وجاءهما صوت خاد من أعلى:

من هناك؟

ونظرت ميراندا الى أعلى بعينين مذعورتين، فرأت السيدة سوندرز وهي ممسكة شمعدانا وترتدي عباءة. وغمغم جاسون قائلا:

ها قد وصلنا.

وردت ميراندا مضطربة:

ان كل شيء على مايرام ياسيدة سوندرز انني ميراندا.

أنت ... لكن كيف دخلت، لقد أغلقت الباب من الداخل بنفسى و...

كلا ... نحن ... ذلك هو السيد ستيل، انه خارج ... أسفة اذ أزعجتك، لكننا ...

خارج ... هل تعنين أنكما لستما قادمين؟ هل تعنين أنك أنت وهذا الرجل كنتما ... كنتما تتسللان في هذا الوقت من الصباح؟ كيف تجرؤين؟ لقد رأيت السيارة الغريبة عندما جئت، لكنني لم أكن أبدا ...

فقاطعتها ميراندا بعد أن أدركت ما ستقوله وهي تصيح:

كلا، انتظري! أصغي، ان كل شيء على مايرام ياسيدة سوندرز أستطيع أن أشرح لك الموقف. ان السيد ستيل هو رئيسي في شركة كارونا ستيل. لقد أوصلني الى المنزل، وكان قد عاد توأمن ...

أنا لا أبالي بمن هو، ولا من أين جاء ان وضعه بالنسبة اليك لا يهمني في شيء، وكذلك وضعك بالنسبة اليه، لكنني أفضل أن يتم هذا خارج منزلي. ولا تحاولي أن تقولي لي انه كان لديك عمل في هذه الساعة من الليل، لقد حذروني من المخاطرة بادخال غرباء في منزلي ولم أصدق. لقد صدمت فيك يا آنسة ميك. اعتقدت أنك فتاة لطيفة هادئة بعد الرواية التي حكيتها لي عن المكان الذي كنت تعيشين فيه، والطريقة التي نشأتك بها عمتك. أنا أشعر بالأسف من أجلك. لن أذع ثانية، هذا مؤكد، ولن أنتظر حدوث هذا مرة ثانية. هل سيدخل الرجال ويخرجون من منزلي طوال ساعات الليل؟ فهتفت ميراندا في زعر:

ياسيدة سوندرز أنت مخطئة تماما، أستطيع أن أشرح لك الأمر فقط اذا أنت ...

لا أعتقد أن هذا ضروري. فكما قلت لك، ليس هذا من شأنى. لكنني سأطلب منك الرحيل، فأنا أخشى على جان ومن الخير أن ترتبي أمورك بأسرع ما تستطيعين.

وأخذت ميراندا تلهث، وغاص الدم في وجنتيها، وتقلصت معدتها من الهم الخوف. شقتها ... شقتها الصغيرة اللطيفة. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيا. عليها أن تجعل السيدة سوندرز تصفي اليها وأن تفهم. وتأهبت للتكلم، وأحست بيد جاسون تقبض على ذراعها وهو يقول بهدوء:

لحظة فقط ياسيدة سوندرز.

*وانتفتت اليه المرأة الغاضبة وهي كارهة فأضاف:

"ان تهلك ليست كريمة فحسب، بل وظالمة أيضا وليس لها أساس من الصحة. وفي أية حال، أؤكد لك أنني سأضمن لك رحيل الأنسة منك فلن أسمح لها بالبقاء بعد هذا".
قالت السيدة سوندرز وهي تحقق فيه:
"ماذا؟"

وتأوهت ميراندا وهي تنظر اليه في يأس لتدخله غير المتوقع ونسيت ما كانت ستقوله إذ أحست بذراعه تلتف حول كتفها وهو يشدها الى جانبه، ثم ما لبثت أن صغقت إذ سمعته يقول:

"الآنسة منك ستتزوجني. وإذا كان لديك شيء آخر تقولينه فعليك توجيهه الي أنا".

كانت هناك لحظة من الصمت المشدوه. واعتقدت ميراندا أنها تخيلت كل هذا، وأنها تحلم، ونظرت اليه عليها تجد تأكيداً، لكن ذراع جاسون الصلبة حول كتفها لم تكن حلاماً، ولا أمراً صارماً أصدره اليها:

"لا تجادلني يا ميراندا ولا تقلقي".

"لكن... لكن... أنا..."

"سأراك غداً، وسنتحدث عن ذلك حينئذ".

وتحت نظرات السيدة سوندرز المشدوهة، رفع ذقن ميراندا الى أعلى وعندئذ دفعها برقعة وهو يومئ لها في اتجاه السلالم قائلاً:

"حان الوقت لتنامي قليلاً، هيا يا ميراندا".

ولم تستطع أن تحول بصرها عن وجهه، ومشيت بظهرها الى السلم وهي تشبه من يمشي أثناء النوم، ونسي كلاهما وجود السيدة سوندرز.

٤ - عشاء بلا شموع

عندما تسلت أشعة شمس اليوم التالي من خلال فتحة الستارة، نفضت ميراندا عنها أغطية الفراش، وجلست تفكر، ثم قررت أنها لابد كانت تحلم.

كانت الغرفة تبدو طبيعية تماماً، والساعة الموجودة الى جوار السرير منتظمة وغير متعجلة في دقاتها، وشعرت بالاحساس اللذيذ لعدم الاستعجال الذي يميز ايام العطلة.

اعتذلت على حافة سريرها ثم انزلت قدميها وبحثت بهما عن خفها وبدأت تقيّم في ضوء النهار البارد الأحداث التي لم تكن حلاماً. هل ظلت مستيقظة معظم الليل، متسائلة عما دفع جاسون الى الادلاء بهذا البيان البالغ الغرابة الذي سمعته منه؟ وحدد عقلها عدداً من الأسباب لذلك، بعضها مناف للعقل.

سمعت مرة عن رجل تزوج فتاة لا يكاد يعرفها لأنه كان عليه أن ينجب ليصبح له الحق في ميراث ما، لكن جاسون لا يبدو في حاجة الى مثل هذا الاجراء وسيبحث في أفكار أخرى خيالية لكن لها طابعاً شخصياً رقيقاً مفرطاً في الرقة حتى أنها وبخت نفسها على مثل هذا التفكير - فكيف تتخيل أن جاسون من الطراز الذي يكتشف فجأة أنه ولهان بفتاة لا يكاد يعرفها، وهي فتاة يمكن أن نصفها، لو التزمنا المجاملة بأنها خجولة، تخفي مشاعرها ولا تظهرها، وأنها عضو غير هام في

إدارة الحسابات؟ كلا، هناك سبب واحد يصمد للدراسة المنطقية المطولة وهو أن جاسون صاحب دعاية من طراز فريد ولا يمكن التكهّن بالظروف التي يطلق فيها دعابته.

حقاً، لقد كانت الغلظة غلظتها. وكان عليها أن تعترف بذلك لنفسها لو لم يكن قلبها ضميماً لهذا الحد... وجاسون عنيف أولاً وقبل كل شيء، ومرن في الوقت نفسه، ولو لم يكن كذلك لما كانت له تلك السلطة في عالم الأعمال وتنهدت. ورغم كل هذا فلمحادة ذكريات جميلة، وهي لا تستطيع أن تنسى قسّات وجهه وهو نائم، كان شيئاً وجذاباً، على نحو غريب حتى أنها أرادت أن تلمس صدغيه بخطوطهما الفضية.

وانصرفت عن النافذة بقوة، وارتدت ثياب المنزل، كانت مثاراً للسخرية ربما كان يهزأ مما حدث الآن. لابد أنه يتوقع منها أن تشاركه هذه النكتة... نكتة كبيرة انتهت مشاكسة السيدة المجوز صاحبة المنزل وأخذت تفكر وهي ماضية إلى الحمام أن المشكلة الحقيقية هي اضطرابها لترك الشقة. إذا نحينا جانباً كل اللغو الذي قاله عن أنه لن يسمح لها بالبقاء، فإنها لن تستطيع أن تعترف بالحقيقة عندما تحين لحظة شرح الموقف وحتى إذا لانت السيدة سوندرز وقالت لها أنها تستطيع البقاء، فإن ميراندا لن تستطيع مواجهتها والاعتراف بأن كلام جاسون كان مجرد طريقة سريعة ومناسبة للتخلص من المأزق.

"ميراندا؟"

انتفضت واقفة كرد فعل لهذا الاستدعاء وفتحت الباب قليلاً لتري السيدة سوندرز التي قالت لها:

"تصورت أنك لابد أن تكوني هنا. هناك مخابرة لك في الدور السفلي هل ستزولين، أم أني؟" اعتقد أنه خطيبك. لكنه لم يذكر اسمه، طيبك فحسب.

"سأتي."

واندفعت ميراندا إلى الطابق السفلي متجاوزة السيدة سوندرز، وهي تحيط نفسها بمنشفتها الكبيرة، كانت

تطير وهي نازكة على السلام، وقلبها يخفق بشدة وأنفاسها منقطعة وهي تهمس في الهاتف:

"نعم، أنا ميراندا ميك."

قال جاسون بصوت لا ينم عن شيء مما حدث في اليوم السابق:

"صباح الخير، هل حدثت مشاكل بعد رحيلي الليلة الفائتة؟" كلا.

"حسناً، والآن اسمعي يا ميراندا. أنا في عجلة من أمري اليوم. لقد ألغى الرئيس ارتباطاته هذا الصباح وذلك حتى ألتقي به، ومن ثم فلن أستطيع الاعتذار عن عدم مقابلته. وسينضم والي امبروز إلينا في الفداء، الأمر الذي يعني جلسة عمل ممتدة. أشك أني سأفرغ قبل الثالثة. ربما بعد ذلك، ما الذي ستفعلينه اليوم؟"

"حالياً، ألتف بالمنشفة..."

"ماذا؟"

وقبل أن تستطيع الرد ضحك برقة وقال:

"هل أخرجتك من الحمام؟ خطر ببالي أنني ربما أخرجك من السرير، لا تقلقي، لن أحتجزك طويلاً. سأمر عليك في الساعة... هل يناسبك؟"

وأومات برأسها ثم أدركت أنه لا يراها فغمغمت بما يفيد الموافقة فقال لها:

"حسناً، إلى اللقاء..."

وضعت هي الساعة بدورها والتفت لتري السيدة سوندرز تدور في الردهة مقبلة نحوها وهي تقول:

"لم أكن أعرف أنك مخطوبة له. لو عرفت لما تسرعت. لكني ارتعيت عندما سمعتكما، في هذا الوقت المتأخر..."

"نعم أنا أدرك ذلك..."

"أنا أسفة إذ كنت فظة، وأنت بالطبع تعرفين أنه ليس عليك أن ترحلي حتى... اعتقد أنكما تعلمان المنزل حالياً..."

وابتسمت السيدة سوندرز، وغمغمت ميراندا بشيء

غير واضح فقالت لها السيدة سوندرز:

"أذهبي قبل أن تصابي بالبرد وأنت تقفين في هذه الردهة التي تموج بتيارات الهواء".

وانتهزت ميراندا هذه الفرصة وهرولت وهي ممثلة، فقد كانت تتوقع كل أنواع الأسئلة الودودة: ما نوع الخاتم الذي قدمه لك؟ ما نوع حفل الزفاف الذي ستقيمانه؟ متى؟ واين؟ ناهيك عن نصائح الصداقة. وانتابت ميراندا حالة اكتئاب عندما بلغت غرفتها، ليتها ما نطقت بتلك الدعوة في الليلة الماضية، فقد أرهاقها التفكير في التفسيرات المربكة التي عليها أن تقدمها ان عاجلا أو آجلا.

وترددت طويلا في اختيار ثوب السهرة وفي الساعة تماما سمعت طرقات على الباب. لم يعد هناك وقت لتغيير الثوب الأرجواني المصنوع من القطن. وأسرعت بفتح الباب، وتبدد قلقها وهي ترى نظراته الدافئة التي تجعل المرأة تحس أنها جميلة. ومنحته ابتسامة عذبة تتضمن دعوة غير متعمدة وقالت بحياء:

"سأحضر شالي".

كان قلبها يخفق بقوة وهي تنزل السلالم وتصعد في السيارة التي انطلقت بها بعيدا. وفكرت بينها وبين نفسها أنه من الحمق أن تشعر بكل هذه الاستثارة، بل ومن الحمق أن تضطرب كل هذا الاضطراب لأنه يخرج معها لمجرد أن يضحكا على ذلك التفسير الغبي الذي قدمه الليلة الفائتة. والتفتت إليه فجأة وهي مستعدة لأن تفضي إليه بكل أفكارها لكنه سبقها بقوله:

"أحس أنني مهملة. أنك تبدين جذابة للغاية على نحو كان يحتم علي أن أحجز مائدة في مكان ما حيث تكونين جتعة للناظرين".

وأفقدتها تلك المجاملة توازنها وجعلت شفتيها تنفرجان سرورا. ولكن روح التشكك عاودتها من جديد وتساءلت: هل سيأخذها ثانية إلى ملهى الروتوندا الذي أخذها إليه من

قبل حيث يحيل تأثير الضوء أي ثوب عادي إلى ثوب غير عادي ويحيل غير العادي إلى شيء فوق العادي، وقالت:

"إن الروتوندا مظلم وداخل قليلا".

"كلا، لن أخذك إليه".

وفتح راديو السيارة، وغرق في الصمت، فلم يفصح عن خطئه لقضاء الليلة لكنها لم تهتم، وقنعت بالاسترخاء في السيارة الفاخرة ومراقبة أضواء المدينة. ولم يمض وقت طويل الاودلف بالسيارة إلى شارع سكني هادي. وتصورت أنهما في بايرن سكوير، ثم تناسلت الأمر والسيارة تقف أمام منزل مرتفع من طراز عصر الملك جورج له ست درجات تفضي إلى

بابه.

ونزل جاسون من السيارة ودار حولها ليفتح لها الباب، وأمسك بيدها ليساعدها على النزول، وقال ببساطة:

"فكرت أن نتمشى في البيت الليلة، حتى تكون لدينا الفرصة لاسترخاء والحديث بحرية".

وجملت: "بيتنا؟ ونظرت إلى أعلى إلى واجهة المنزل المكنة، غير مستقرة على ما يتعين عليها أن تقول في هذا الموقف وغير متأكدة من تلك النوافذ الغامضة ذات الستائر العاتقة التي لا تعطي أي فكرة عما يقع خلفها: هذا هو منزل جاسون ستيل".

وقبل أن تقرر شيئا، انفتح الباب ورأت امرأة تقف وخلفها ضوء كهربائي، كان وجهها هادئا يبعث على السرور، وأحست ميراندا بالارتياح وهي تسمع السيدة تقول:

"ساء الخير ياسيد ستيل".

قال لها جاسون وهو يرفع شال ميراندا عن كتفها:

"بعد حوالي عشر دقائق يالبيبي".

وأومات ليبي وهي تأخذ الشال منه.

وفتح جاسون بابا إلى يسار ردهة طويلة وأشار إلى ميراندا لتدخل ودخلت فوجدت نفسها في غرفة دافئة فيها رفوف كبيرة مليئة بالكتب، وسجاد تركي أزرق وكراسي جلد ذات

مساند ومكتب قرب نافذة طويلة عليه صينية فضية وأقداح كريستال وإناء مليء بالفاكهة، لم يكن طراز الغرفة كما تخيلته ولا ما توقعت أن تجده لديه. ولو ترك لها تحديد الصورة بناء على فكرتها عن شخصيته لتوقعت شيئاً شبيهاً بغرفة مكتبه في الشركة. كانت هناك صورة مرسومة بالزيت وفي إطار سميك فوق المدفأة صورة رجل قوي الملامح، يشبه جاسون تماماً رغم اللياقة العالية لبذلته التي تنتمي إلى طراز عصر الملك إدوارد. ولما رأى جاسون اتجاه عينيها قال لها: "إنه جدي، لم يشأ والدي أن يضع صورته في غرفة مجلس الإدارة، إذ كان طاغية".

بقيت واقفة قرب المدفأة تحتسي الشراب الذي قدمه لها، وبدأ التوتر ينتابها وطرأت على ذهنها فجأة فكرة... بل اعتقاد بأنها حقاً.

وغاص قلبها. إذ أفرطت في اعتبار أمور كثيرة أشياء مسلماً بها. ربما كانت نيته هي أن يصطحبها لتناول بعض الشراب فحسب لمدة نصف ساعة تقريباً، أو ما يكفي للتوصل من ذلك الالتزام المليء باللفو... واستيقظت من أفكارها على قوله:

"ما لك تبدين كأنك اكتشفت حقيقة مؤلمة".

"ربما حدث هذا فعلاً".

"لو كان الشراب لا يعجبك فسأحضر لك غيره".

"كلاً إنه لذيذ".

"كنت تفضلين لو أنني لم أدل بهذا التصريح المتعجل نوعاً ما في الليلة الفائتة، أليس كذلك؟ وأنت تخشين الاعتراف بهذا".

من المشكوك فيه أن سؤالاً آخر أيا كان يمكن أن يسبب لها ذلك القدر من الارتباك الذي سببه هذا السؤال. وبذلت مجهوداً لتبدو هادئة واعتقدت أنها نجحت عندما تحركت إلى الأمام وادعت أنها تتأمل تمثالاً صغيراً من العاج. وخلال تناول الطعام، أبقى جاسون الحديث في

حق موضوعات غير شخصية وقامت ليبي بالخدمة بمهارة كثرت أعجاب ميراندا. وتساءلت عن عدد العاملين في المنزل، أم أن ليبي هي الوحيدة. وواتاها انطباع بأن جاسون يفضل وجود عدد كبير من الناس في منزله عندما يكون فيه وهو وقت قصير، فهو في معظم أيامه على سفر.

وعينما جاء وقت تناول الحلوى اكتشفت أن جاسون مغرم بالحلوى وأنه يجمع تحفا شرقية، خاصة من حجر اليشم والعاج، وله ذوقاً رفيعاً في الموسيقى وإن كان لا يعتبر نفسه خبيراً. ودار الحديث بينهما في موضوعات شتى أخبرها خلالها عن عضو في مجلس إدارة ملجأ للإيتام في ميدلاندز واختتم قائلاً:

"من فضلك لا تقولي يا للصغار المساكين".

لم يكن في نيته أن أقول ذلك. هل هذا الملجأ في المدينة؟ في الريف؟

لم يبعد نحو خمسة أميال من ميلبرو في قصر قديم لأحد مالكيين. وهناك عدد من الأولاد يعيشون في المزرعة. من تتردد على المكان كثيراً؟

لمست لو عندي وقت أطول لذلك، لكن هذا مستحيل.

هكذا لم تسنح الفرصة للتعرف على الأطفال؟

سحب قدح شرابه بقسوة وهو يقول:

ليس لدي وقت للنظر إلى الأطفال نظرة عاطفية، إذا كان ذلك ما تقصدينه، إن الوقت الذي أكرسه لهم أخصه لأمور أخرى بالناحية الدنيوية أكثر من غيرها فهي تتعلق بالجانب المالي لجعلها.

لم يمد يد المائدة بعنف فخرجت بانطباع أنه يأسف لموضوع، ثم قال:

ليبي ستقدم القهوة في غرفة الجلوس... هلا ذهبنا هناك؟ لم يفت بدون أن تنطق بكلمة، إن قوله الواضح هذا حدد في المواقف، مما جعلها تصبح أكثر صلابة في مواجهة حديثه. وقررت وهو يربها باقي الغرف أن تبقى بعيداً

نعم. في ذلك الأصيل حين أرسلت تطبني، لأنني لم أخطر
سجلات بذلك.*

و... أردت الاتصال بك هاتفياً في منزلك القديم، وردت
بأحد اسمها الآنسة فاندا وقالت لي أنك لم تعود تسكنين
هناك.*

هل أردت الاتصال بشيء هام؟

سيت الآن... ربما أردت أن أرسل لك فاتورة الفندق تلك.*
كأن ذلك كان بعد أن قدمت لك...*

وتوقفت فجأة وهي ترى ومضة سرور في عينيه وقالت:

تريد مزيداً من القهوة.*

قائوماً ومد يده بالفنجان الفارغ، فلم تجد بداً من الذهاب
إلى...*

وتجنب النظر في عينيه وهي تأخذ الفنجان، واخفقت
بربوت:*

لا تريد القهوة؟*

ك...*

هل يضايقك أن أشرب قهوتي؟*

فرد بسخرية وهو يطلق سراحها:

سيت ضيفتي...*

وسارت إلى مكانها وهي ترتعش وهو يرقبها من تحت
غطاء الناعسة المتكاسلة، وملأت الفنجان وأخذت ترشفه
بأن ذلك كل ما يعينها في الوجود وعندما انتهت قال لها
هيو:*

هل أفهم أنك لا تريدين الزواج مني؟*

وبأحاساس الصدمة أدركت أنها ما تزال ترتعش داخلها، وأن
هبة التي أثارها فيها في أوائل تلك الليلة لم تخدم بعد.
فأقرعها عجزها وجعلها خجلى وفكرت في أن تواجه ذلك
باحتشام بقرارها وببرودها فقالت:

أعتقد أننا في حاجة إلى المضي في هذه المهزلة. كانت
حركة هامة وتحققت الخدمة. ومن ثم فلن أحاول الإبقاء
عليك في الفخ.*

عن طريقه مستقبلاً. أن ذلك صعب، قطريقه يلتقي بكل
طرقها، ربما تصافرت الظروف مرة أخرى لتخلق موقفاً يشبه
حضورها هنا الليلة. تبينت كل أخطار الاقتراب منه. أنه من
الحمق أن تدع نفسها تسقط في حب جاسون ستيل من دون
الرجال جميعاً.*

لقد تأخر قرارها لكن ذلك لا يهم، واتخذت مظهرها دفاعياً
ورفعت رأسها متباهية وهي تدخل الباب الذي أشار إليه.
وسارت في الغرفة الواسعة التي تجتد بطول الطابق الأرضي،
وراقنت لها هذه الغرفة ووقعت من نفسها موقعا حسنا. كانت
الجدران بيضاء والأثاث بلون بني وعنبري، والسجاد بلون
العسل يمتد من الحائط للحائط، أنها من طراز الغرف التي تثير
احساساً بالدفع والترحيب والراحة. وذاب قرار ميراندا وهي
تغوص في أحد الكراسي ذات المساند. وجاءت ليبي بصينية
القهوة، وابتمست لميراندا ووضعتها على مائدة منخفضة، ثم
خرجت. وأشار جاسون إلى الصينية وهو يقول لميراندا:

هيا، تلك مهمة يقوم بها ضيوفنا من النساء دوماً. وأنا
أفضل القهوة بلا حليب أو سكر.*
أذكر هذا.*

وتقدمت إلى الصينية، لكنها كانت ما تزال تتأمل التحف
في الغرفة الفاخرة، فقال لها وهو يتابع نظراتها:

القهوة أولاً، إن تأثير هذه الفرقة لا يخيب أبداً.*

هل تعني أن الجميع يعجبون بما فيها خاصة ذلك المعبد
الشرقي الطراز.*

أنا أحدى شركائي. ولدي شراك أخرى كثيرة وضعتها في
أماكن استراتيجية من الغرفة.*

حقاً. هل تحتاج إلى شراك ياسيد ستيل؟*

من منا لا يحتاج إليها، على الأقل مرة في حياته.*

وأراها عدداً من التحف، وفي أثناء ذلك تذكرت سؤالاً كانت
تود أن تسأله فقالت:

كيف عرفت أنني انتقلت من سكني؟*

لم أكن أدرك أنني في فخ . لقد تعلمت كيف أتجنب الطعام السام منذ وقت طويل مضى، يا صغيرتي.
انهارت قدرتها على التحدي، فحاولت بصرها بعيدا وهي تقول:

لم أقصد ذلك على وجه الدقة . كان الأمر مجرد شيء من تلك الأشياء التي تحدث عندما...

لكنها لم تدر كيف تكمل كلامها خوفا من المضي في حماقاتها، وتدخل جاسون قائلا:

لا أعتقد أنك واثقة مما تقصدينه . أعتقد أن قليلا من الموسيقى قد يصلح الأمر . ماذا تحبين؟ توم جونز أو سترافنسكي.

وأبدت حركة يأس كما يفعل من لا يستطيع أن يقرر . وابتسم جاسون بسخرية وهو يحضي إلى الجهاز في الركن قرب النافذة، وأداره . وانسابت في الغرفة موسيقى رائعة من أميركا اللاتينية . وسار جاسون بعد ذلك بهدوء إلى حيث أضاء المزيد من مصابيح الغرفة مما أكسبها دفئا جديدا والفة حميمة . وتوقفت خطواته الناعمة وراء الكرسي حيث تجلس فتصاعدت دقات قلبها حتى طغت على الموسيقى . وقال لها في هدوء:

أن تلك الموسيقى معروفة بأنها تمهيد للمسرح.

أدرك ذلك، لكنني لم أت هنا للاغواء.

أنا مدرك هذا تماما.

ودار حولها ونظر في عينيها النجلاوين، كان خداهما شاحبين، لكن التصميم كان باديا على وجهها . وقال لها:

أنا أدرك أيضا أنني أوقعت نفسي هذه المرة مع إحدى الحوريات . ولذا...

واستدار دون أن يكمل جملة، وأخرج سيكارة من صندوق من الأبتوس الالامع، وأشعلها ثم استطرد قائلا:

*على النقيض من أي شيء يمكن أن تكوني قد سمعته عني فاني لم ألجأ أبدا إلى إغواء ضحايا لا يردن ذلك . ولذلك

أقول لك أن أمسينا كانت لطيفة وعندما تشائين اصحبك إلى بيتك.*

وأخذ يدخل سيكارتته باستمتاع وهي ترقبه فظن أنها تريد سيكارة، فقال وهو يقدم الصندوق لها:

أسف أنني لم أقدم لك سيكارة، سامحيني.

كلا، أنا لا أدخن.

إنك قطة عاقلة . اني أكف عن التدخين كل صباح ثم أعود إليه في المساء.

ذلك أفضل مما لو كنت تفعل العكس بأن تبدأ صباحا وتكف مساء.

نعم بالتأكيد . ولكني أحال وأدخن سيكارة عرضا أثناء النهار.

أن التوقف عن العادات السيئة التي يستمتع بها الإنسان أمر صعب، أليس كذلك؟ وأعتقد أنه قد آن الأوان لكي...

قالت ذلك وهي تتحرك إلى الباب ايذا: برغبتها في الرحيل، فقال لها:

بالطبع.

وسارع باطفاء السيكارة في المنفضة وهو يقول:

سأصحبك إلى البيت.

وتوقفت عند الباب في انتظاره فلاحق بها وهو يقول:

هناك شيء آخر، اني أريد حقا أن أتزوجك.

وهي: نعم، لا، لا أعرف..

وزاد كلامه هذا من ارتباكها فقالت:

"لكننا... لا نكاد نعرف بعضنا البعض.."

"ذلك أمر يسهل علاجه، ما الذي تريد أن تعرفه يا ميرندا.."

وتنهدت في يأس وهي تحاول الاحتفاظ برباطة جأشها أمام ثقته في نفسه التي لا تهتز وهي تقول:

"الأمر ليس بهذه السهولة يا سيد ستيل، فالعقلون لا..."

"لندع التعصيمات الغامضة، ودفاعك الأحق، ولكن هذه آخر مرة، نناديني فيها بالسيد ستيل.."

"لكنك... لا أستطيع أن أكف عن التفكير فيك باعتبارك السيد ستيل وأنت لا تعرفني، ليس بالدرجة الكافية لكي تتزوجني.."

"أن ذلك يجعل الأمر أكثر إثارة ألا تريد أن تتزوجي؟"

"بالطبع أريد، لكن..."

"ألا تريد أن منزلًا خاصًا بك؟"

وأومات وهي تنظر لأسفل، فسألها:

"وأطفالاً؟"

فردت بصوت خافت:

"لا أتخيل الزواج بدونهم.."

"إذا، فستحتاجين إلى رجل.."

"نعم، لكنني أريد الحب وعلاقة دائمة.."

"نعم، وأوافقك على هذا، سأكون أمينا معك يا ميرندا، أعتقد

أن الفكرة القديمة الشائعة عن علاقة واحدة دائمة ومثالية بين

رجل وامرأة مقضي عليها بأن تذبل أن عاجلاً أو آجلاً، لأنه

كيف يكرس إنسان حياته ومستقبله كليهما لشخص واحد؟ من

المستحيل أن نعرف ما سيحدث في الأربع وعشرين ساعة

المقبلة ناهيك عن الأربعة وعشرين عاماً التالية.."

"لكن ذلك هو نفسه، السبب الذي علينا أن نحاول، ألا

٥ - جاسوس؟

لم تدر كم من الوقت مضى وهي واقفة هناك وطلب الزواج منها الذي أبداه جاسون يتردد صده في عقلها حتى حطم جاسون نفسه الصمت بأن قال ببرود:

"أعتقد أنك تحتاجين إلى شراب قبل أن تورطى نفسك.."

وبدأت تتنهد للموسيقى التي كانت ما تزال تصدح، وقالت

لنفسها لا بد أن التسجيل طويل، ورائه يتحرك ليحضر لها

شراباً، وعادت الدوامة إلى ذهنها من جديد، جاسون يريد أن

يتزوجني! لكنها لا تكاد تعرفه وهو لا يكاد يعرفها، ومع ذلك

طلب هذا، لم يكن ذلك من تخيلها كيف يأتي الحب سريعاً على

هذا النحو، هل داهمه الحب كما داهمها؟ لأنها خلال لحظات

من لقائه أدركت أنها وقعت في حبه، وأصبحت تعيش في

عالم خاص بها وبجاسون، جاسون! وليس السيد ستيل.

وجاء إليها ووضع قدح الشراب المثلج في يدها، وأحست أن

سحره توقف بل حتى لم تكن له تلك النظرة المتحدية ولا ذلك

الاعتراف الساحر الذي كان يحضها على الغزل معه منذ لحظات

مضت... وهمست:

"هل أنت جاد؟"

"لأقصى حد.."

"لكن كيف تستطيع أن... ما الذي يتعين على أن أقوله؟"

"أحدي إجابات ثلاث، وهي الإجابات الثلاث الوحيدة

تعتقد هذا؟ وبسبب هذا يتعين أن تفعل شيئاً يدوم، شيئاً تستند إليه إذا انهار كل ما عداه.

هكذا نعود الى الأساسيات القديمة، الحب والثقة. وهد يده. ورغم أنها تقدمت إليه. وسألها بنعمية:

هل لديك أي سبب خاص يدفعك لعدم الثقة بي.

ونظرت إليه لحظة ثم خفضت بصرها ولاحظت هزة رأسها التي لا تكاد تلاحظ، وعندئذ وضع يديه على كتفيها، وانتابتها رجفة للمسته فشد قبحته وهو يقول لها:

أعتقد أنك تحبينني فعلاً، لكنك لا تريدين الاعتراف بهذا. وألمها هذا الافتراض الذي قاله ببرود، فبعدت عنه وهي تقول:

كلا: ولن أعترف بذلك، ولن أستطيع أن أتزوجك. ولابد أن تعرف أن هذا لن يجدي، فنحن لا نكاد نعرف أحداً الآخر. أنا... أنا لا أعرف لماذا تريد ذلك؟

لأنني أريدك.

تريدين؟ هل تقصد أنك تريد فخسب...؟

أقصد أنني أريدك، وأنا على استعداد للزواج بك.

هكذا فخسب، بدون حب.

وبان في عينيها النجلاوين التحرر من الوهم على نحو جعل عينيها تبدوان كبيرتين في وجهها الشاحب. وقال لها بهدوء: انس موضوع الزواج حالياً ودعينا نتساءل ها، أنت مستعدة لإقامة علاقة معي.

كلا.

لماذا؟

فكرت كلامه بسخرية:

لماذا؟ هكذا هل لديك فكرة كيف يبدو اقتراحك وحشياً؟

كلا، أفهم أن تقولي أنه اقتراح متعمد، إنما وحشي لا. وأحست بالألم يعصف بقلبها، وأن يديها مثلجتان رغم

فء الغرفة وشبكتهما معا لتوقف ارتعاشهما وهي تقول بعناد:

لا أرى فارقاً، لا أريد هذا النوع من العلاقات.

هل أنت خائفة؟

نعم.

مني؟

من كل الأشياء التي تخشاها فتاة.

لست في حاجة الى الخوف، فسأراك، أعدك بذلك.

وران عليها الصمت الكثيف الذي أعقب ذلك حتى كاد يزهرق أنفاسها وأحست أن ثغتيها متيبستان وأن دم الحياة غاض منهما، وبذلت كل جهد ليبدو صوتها طبيعياً وهي تقول:

أنا واثقة أنك مخلص تماماً، لكن ألا ترى أنك تجعل الأمر يبدو مستحيلاً أكثر فأكثر؟ أنت... أنت تستطيع أن تحدد للزواج بنوداً كالبنود التي تحدد في طلبات البشراء، أنت تريدين، ومن ثم فأنت سترعاني؟ هل تعتقد أنك تستطيع شرائي.

لم أقل شيئاً عن البشراء أو العطاء. ومهما كانت الزاوية التي تنظرين الى الامر منها، فإن الصلة الغرامية ياميراندا هي علاقة متبادلة.

الصلة الغرامية، تقصد أنك عندما تفور بك الرغبة... فقطاعها وهو متوتر:

ماذا تريدين من صلة غرامية.

قلت لك اني لا أريد صلة غرامية هل تدرك أن ما تقترحه يتسلف كل شيء هام. كل حنان، كل مودة بل كل ما يمكن أن يدعم غراماً حقيقياً. لابد ان يكون هناك ود واحترام متبادلان. انك لا تستطيع أن تخطط لأي علاقة. ان رعاية انسان ما تعني حمايته فكيف يمكن أن تحميه من الأذى الذي ستوقعه أنت نفسك فيه؟

كانت ترتعش عندما انتهت من انفجارها هذا، حتى أنها لم تسمع خطواته التي أوصلته لجوارها. وعندما أمسك

كتفيتها ارتجفت وحاولت أن تغلت من قبضته، لكنها لم تغلق، وقال لها:

"أوه، كلا، ما كان يجب أن تقولي هذا، انتهيت من خطبتك والآن سأقول خطبتي، أنت لا تصدقين أنني أستطيع أن أحب، وأن ينبض قلبي وأن أبدي ودا، أنت تفضلين أن تتوقعي مني الأذى، انظري إلي، انظري إلي"، ورفعت رأسها إلى أعلى ونظرت إلى قسجته الساخرة، فهمس لها:

"هكذا، أنت لا تصدقين أنني أستطيع أن أكون حنوناً". لم تعرف اللحظة التي حدث فيها التغير السريع، وأحست أن عظامها تحولت إلى ماء، وأن أطرافها ذابت. وأخيراً غمغمت وهي تحس أنها لم تعد تستطيع الاحتمال، وبعد ذلك بفترة مرت ثقيلة كأنها دهر تراجع للوراء وهو ينظر في عينيها وهي نظراته بريق الانتصار، وهمس لها:

"هالوو، ميراندا ميك". ولم تستطع أن تتكلم، واكتفت بأن تتنهد وتخفض رأسها. كانت أجراس الانذار الخاصة بالفريزة قد صمدت الآن، لكنها ما زالت تحذرها بأن عليها أن تستعيد السيطرة على نفسها، وأن تفعل شيئاً ازاء وضع يخرج عن سيطرتها سريعاً. لكن ماذا تفعل؟ أنها لم تعرف أبداً رجلاً مثل جاسون ستيل، وقالت بصوت بدا لأذنيها صادراً من بعيد:

"أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب".

فجذبها إليه وهو يقول برقة:

"أعتقد أنه من الأفضل أن تتزوجيني".

★ ★ ★

وبعد ذلك بثلاث ليال سألها وهما جالسان يطلان على النهر:

"أين تريدان أن نذهب في شهر العسل؟"

"لا أعرف".

واخذت تحديق في الأضواء التي تنعكس على صفحة النهر وهي تتساءل متى تفيق من هذا الحلم الذي تعيش فيه منذ أن عرض جاسون عليها الزواج، أنها ستتزوج جاسون ستيل، خلال ثلاثة أسابيع، وحتى الآن ما زال الأمر سراً، فثقتك رغبته وقد استجابت إليها عن طيب خاطر، لقد بذلت جهداً كبيراً حتى لا تعلن الخبر، فقد قال لها في تلك الليلة التي لا تنسى:

"أجل أن تكوني مستعدة للطوفان الذي ستواجهينه عندما يعرف الخبر في المكتب". فحدقت فيه وهي لا تدرك مرماه، لأن المكتب كان بعيداً عنها في تلك اللحظة فأضاف بنفاذ صبر:

"من الواضح أنك لم تعلمي في مشروع كبير لمدة طويلة، إن الأقاويل لن تتوقف وأنا لن يهمني ذلك في شيء، لكنهم لن يرحموك".

وحينئذ طافت بخاطرها رينا هارفي، وأدركت أن جاسون بعيد النظر، إن المسألة لا تحتاج إلى قدرة على التخيل لتصوير رد الفعل عندما يعرف الخبر، كما لا يتصور أحد أن جاسون سيظل بمنأى عن هذا الخبر في برجه العاجي، وفكرت أن تعيظه بقولها أنه يخشى الحكايات التي سيروونها لها عن ماضيه، لكن شيئاً ما في تعبير وجهه الجامد جعلها تظل صامتة.

وهب النسيم فحرك سطح ماء النهر برقة، مشتتاً انعكاس الأضواء واستقرت نظرتها على يديه وأصابعه. وعندما سألها مرة ثانية عن المكان الذي كانت تود أن تذهب إليه، قالت بصورة غريزية:

"أكابولكو".

وتقلصت أصابعه على القدح وأوقف تحركه، وارتفع حاجباه تهمة وهو يقول: "أكابولكو؟"

وأدركت سخف أجابتها، فسارعت بالقول.

كلا، لم أقصد ذلك، انس الموضوع، لقد كنت حقا..
ما الذي جعلك تقولين هذا؟

لا أعرف، ولا يهمني أين نذهب طالما الشمس مشرقة..
حسنا، انها تشرق هناك بهاء، لم لا؟ سأحجز غدا..

لكنك قلت أنك تستطيع أن تأخذ اجازة اسبوعا فحسب..
والذهاب الى هناك يستغرق يوما للذهاب ويوما للرجوع.. ولا
يمكن أن نقطع كل هذه المسافة للبقاء اربعة أيام فحسب..
لم لا؟ لقد ذهبت الى مدى أبعد لمدد أقل..

وفكرت في السبب الذي دفعها الى اداء هذا الاقتراح
وتساءلت هل تذكر هو أيضا المناسبة نفسها وقالت في وهن:
ان ذلك سيكون كثيرا، أعني أنه عندما يكون الأمر متعلقا
بالاعمال فانك مضطر للسفر لمسافات بعيدة.. لكن ذلك لا
ينطبق على الوضع الذي يكون لنا فيه الخيار... ولا شك أن
الرحلة ستكون مكلفة..

لكنها مناسبة خاصة، أليس كذلك؟ أم أن ذلك يعتبر حاليا
من مخلفات الماضي؟

بالطبع لا.. لكنني لا أريدك أن تظن أنني غير معقولة لمجرد
أنني أجبت برد أحقق على سؤال جاد.. أقصد، عندما يكون
لديك مثل هذا الوقت القصير.. سأكون سعيدة أن أبقى هنا
أياما قليلة على الشاطئ في ديفون أو كورنوال، أو ننتظر
حتى تخف التزاماتك ونؤجل الزفاف حتى تحين أجازتك..

لم أظ بأجازات لمدة عامين ولا بد لي أن أوبخك يا ميراندا
للاسباب التالية: أولا أنا أعتقد أنك غير معقولة فعلا ولكن لا
لأنك تريد الذهاب الى أنابولكو من دون البلاد جميعها
لقضاء شهر العسل.. ثانيا، لو أكون سعيدا ببضعة أيام في
ديفون أو كورنوال اذ أفصح أن أكون بعيدا عن تناول
الثيفون لبضعة أيام.. انهم سيفكرون مرتين قبل أن يجروني
عائدا عبر الاطلسي، لكن في أي مكان آخر في الداخل... كلا
سأكون في تناول أيديهم.. ثالثا، ان الاجابة بالنفي

الاكيد على طلب التأجيل... انا دائما أكره انتظار أي شيء
أريده..

عشت على شفيتها ونظرت الى أسفل.. فلا جدال في الطابع
العملي لتفكيره انه لم يخف رغبته فيها، ولن تكون امرأة اذا
لم تفض أحاسيسها سرورا ورضى لدى معرفتها بهذا الأمر..
لقد اختارها من دون البنات جميعا وطلب منها أن تتزوجه..
وتجاهلت تماما القرض البديل وهي أنها ذهبت اليه بشروط،
كما تجاهلت التفكير فيما كانت ستؤول اليه الأمور لو أنه
حاول اغواءها بدلا من طلب يدها غير المتوقع هذا.. ففي
الوقت الحاضر يكفيها أن تكون في حالة الحب المدمشة هذه
مما يبسر عليها تبيد أي شكوك.. وسألها:

هل أخبرت أحدا؟

كلا، ولا حتى سوزان.. فقد اتفقنا على ألا ننسب ببنت شقة
الى أن تعود من رحلة موسكو..
وأوما برأسه قائلا:

هل أنت واثقة من رضاك عن خطط الزفاف.. فالاسبوع المقبل
سيكون الوقت قد فات لتغيير الرأي..
قالت وهي تدرك أنه يشير الى قرارهما بعقد قران هادي:
أنا واثقة تماما..

لو كان لها والدان وقدر كبير من المعارف، لكان الأمر
يختلف، وكان جاسون أيضا يريد زفافا هادئا.. وذلك لأن
معارفه كثيرون الى حد أن دعوتهم جميعا ستصبح مشكلة،
قربا انتهى الأمر بدعوة نصف سكان لندن.. وسيشكل هذا
عبئا أكثر منه مصدرا للمتعة، خاصة وأنه سيعود من موسكو
قبل الزفاف بأربعة أيام.. وميراندا عليها تدبير الأمور الخاصة
بها، لذلك اتفقا على حفل صغير هادي يضم عددا محدودا من
الأصدقاء المقربين، يقام في بيت جاسون قبل رحيلهما الى
المطار بما لا يزيد عن نصف ساعة، يستطيع المدعوون بعدها
أن يبقوا ليتناولوا ما يشاؤون..

كلا، لم أقصد ذلك، انس الموضوع، لقد كنت حقا..
ما الذي جعلك تقولين هذا؟

لا أعرف، ولا يهمني أين نذهب طالما الشمس مشرقة..
حسنا، انها تشرق هناك بهاء، لم لا؟ سأحجز غدا..

لكنك قلت أنك تستطيع أن تأخذ أجازة أسبوعا فحسب..
والذهاب الى هناك يستغرق يوما للذهاب ويوما للرجوع.. ولا
يمكن أن نقطع كل هذه المسافة للبقاء أربعة أيام فحسب..
لم لا؟ لقد ذهبت الى مدى أبعد لمدد أقل..

وفكرت في السبب الذي دفعها الى اداء هذا الاقتراح
وتساءلت هل تذكر هو أيضا المناسبة نفسها وقالت في وهن:
"ان ذلك سيكون كثيرا، أعني أنه عندما يكون الأمر متعلقا
بالأعمال فانك مضطر للسفر لمسافات بعيدة.. لكن ذلك لا
ينطبق على الوضع الذي يكون لنا فيه الخيار... ولا شك أن
الرحلة ستكون مكلفة.."

"لكنها مناسبة خاصة، أليس كذلك؟ أم أن ذلك يعتبر حاليا
من مخلفات الماضي؟"

"بالطبع لا.. لكنني لا أريدك أن تظن أنني غير معقولة لمجرد
أنني أجبت برد أحقق على سؤال جاد.. أقصد، عندما يكون
لديك مثل هذا الوقت القصير.. سأكون سعيدة أن أبقى هنا
أياما قليلة على الشاطئ في ديفون أو كورنوال، أو ننتظر
حتى تخف التزاماتك ونؤجل الزفاف حتى تحين أجازتك.."

"لم أظن بأجازات لمدة عامين ولا بد لي أن أوبخك يا ميراندا
للاسباب التالية: أولا أنا أعتقد أنك غير معقولة فعلا ولكن لا
لأنك تريد الذهاب الى أنابولكو من دون البلاد جميعها
لقضاء شهر العسل.. ثانيا، لو أكون سعيدا ببضعة أيام في
ديفون أو كورنوال اذ أفصح أن أكون بعيدا عن تناول
الثيفون لبضعة أيام.. انهم سيفكرون مرتين قبل أن يجروني
عائدا عبر الاطلسي، لكن في أي مكان آخر في الداخل... كلا
سأكون في تناول أيديهم.. ثالثا، ان الاجابة بالنفي

الاكيد على طلب التأجيل... انا دائما أكره انتظار أي شيء
أريده.."

عضت على شفتيها ونظرت الى أسفل.. فلا جدال في الطابع
العملي لتفكيره انه لم يخف رغبته فيها، ولن تكون امرأة اذا
لم تفض أحاسيسها سرورا ورضى لدى معرفتها بهذا الأمر..
لقد اختارها من دون البنات جميعا وطلب منها أن تتزوجه..
وتجاهلت تماما القرض البديل وهي أنها ذهبت اليه بشروط،
كما تجاهلت التفكير فيما كانت ستؤول اليه الأمور لو أنه
حاول اغواءها بدلا من طلب يدها غير المتوقع هذا.. ففي
الوقت الحاضر يكفيها أن تكون في حالة الحب المدهشة هذه
مما يبسر عليها تبيد أي شكوك.. وسألها:

"هل أخبرت أحدا؟"

"كلا، ولا حتى سوزان.. فقد اتفقنا على ألا ننسب ببنت شقة
الى أن تعود من رحلة موسكو..
وأوما برأسه قائلا:

"هل أنت واثقة من رضاك عن خطط الزفاف.. فالأسبوع المقبل
سيكون الوقت قد فات لتغيير الرأي.."
قالت وهي تدرك أنه يشير الى قرارهما بعقد قران هادي:
"أنا واثقة تماما.."

لو كان لها والدان وقدر كبير من المعارف، لكان الأمر
يختلف، وكان جاسون أيضا يريد زفافا هادئا.. وذلك لأن
معارفه كثيرون الى حد أن دعوتهم جميعا ستصبح مشكلة،
قربا انتهى الأمر بدعوة نصف سكان لندن.. وسيشكل هذا
عبئا أكثر منه مصدرا للمتعة، خاصة وأنه سيعود من موسكو
قبل الزفاف بأربعة أيام.. وميراندا عليها تدبير الأمور الخاصة
بها، لذلك اتفقا على حفل صغير هاديء يضم عددا محدودا من
الأصدقاء المقربين، يقام في بيت جاسون قبل رحيلهما الى
المطار بما لا يزيد عن نصف ساعة، يستطيع المدعوون بعدها
أن يبقوا ليتناولوا ما يشاؤون..

كان الاحتفاظ بالسراسل أسهل مما اعتقدت. وكانت الانفلونزا ما تزال منتشرة بين العاملين، وأخذ ضحاياها العائدون يكيلون النصائح لمن لم يصابوا بها بعد. وقد أغلقت ميراندا منها وعزز شعورها بالمناعة احساسها بأنها تعيش ما يشبه الحلم الذي لم يفارقها طوال الأسبوعين الأخيرين.

كان الأمر كأنها تحيا حياتين. في النهار تذهب لعملها، وفي المساء تدخل الى عالم آخر بهيج مع جاسون، كان كل شيء جديدا عليها وكفيلا بأن يدير رأسها، هذا هو السبب في أنها لم تقابل خلال هذين الأسبوعين الا عددا قليلا جداً من أصدقاء جاسون على الرغم من الساعات الاجتماعية المزدحمة التي أمضتها معه خلال هذه المدة. أو ربما كان السبب أن جاسون ينفر من قبول دعوات معارفه الذين يلتقي بهم عرضاً في المسارح وفي المطاعم عندما تكون ميراندا بصحبته. وكان رده دوماً على هذه الدعوات هو:

"للأسف فاني مرتبط للأسبوع التالي كله."

وفي احدى المرات وجهت له الدعوة عادة فاتنة، فاعتذر وهو يقول لها:

"اتصلي بنا بعد يوم ١٣، بعد عودتي من موسكو". فردت هذه:

"أرجو ألا تكون ذاهباً في مهمة تجسس".

لكنه همهم بغضب ثم سحب ميراندا بعيداً، وهي تقول له:

"لست كذلك يا جاسون".

"لست ماذا؟"

"لست متورطاً في شيء من هذا القبيل".

"من قبيل ماذا؟"

"التجسس؟"

وأبدى اندهاشاً عنيفاً، في حين واصلت هي:

"قرأت في مكان ما أنهم يستخدمون رجال الأعمال في

نقل المعلومات، ورجال أعمال مسافرين حسني النية مثلك، ولحرة واحدة فقط".

وحقق فيها لحظة ثم قال ساخراً:

"ذكريني لكي أريك سر المهنة في وقت ما. لدي جهاز ارسال في كعب الحذاء، وكاميرا مزروعة في جفن عيني اليسرى. كل مرة أغمر فيها فتاة تلتقط صورة". فلم تبترسم وقالت:

"أود لو لم تذهب بعيداً".

كانت أشياء كثيرة تقلقها. وبين كل هذه كان هناك جانب آخر يسبب لها قلقاً أكبر هو جاسون. لم يقم بأي محاولة لعوائها خلال فترة الخطوبة. كانت تحبها تقليدية ودون أي مظاهر للولاء الذي أحسته منه في تلك الليلة عندما طلب منها. يبدو أنه لم يكن يتوقع منها أن تعلن حبها له، ذلك الحب الذي كانت تتلهف لإعلانه والذي لم تجد تشجيعاً كافياً له لتفجيره.

كانت واعية تماماً أن نفسه يمكن أن تراوده في أن يسبق الزواج ويحقق رغباته منها، فهو لم يدع أبداً أنه يرتدي مسوح القديس بل كان أميناً في تناوله الموضوع عندما اعترف لها برغبتها، وأحسست أنه يترك لها القرار في ذلك. لم تكن تعرف الحب لهذا أم تشكره. ولمعرفتها به، أخذت تتساءل عن الحب الذي يدفعه لضبط نفسه. وفي بعض الأوقات راودتها فكرة في أن تسر بكل هذا الى سوزان، لكنها لم تجرب خوفاً من ألا تستطيع سوزان مقاومة رغبتها في أن تخبر رأي، سيقها. ولحسن الحظ كانت سوزان مشغولة بأمورها فلم تحظ التوهج الجديد الذي بدأ يلتصق في عيني صديقتها.

سالت سوزان ميراندا:

"أرأي مختلف اليس كذلك؟"

وافقت ميراندا قائلة:

"يبدو جاداً، لست أظن أنه لعوب".

أنوي أن أفعل ذلك معها في عطلة نهاية هذا الاسبوع
هل هي على علم بالأمر؟

لم تعرف بعد طلبت منها فقط ألا تنشغل يوم الثالث عشر
وان تكرسه لي*.

حسناً، لا تظلي غامضة طويلاً اخطريها حتى تعد ثوبها
الجديد أو أي ثوب تريدين منها أن تلبسه*.

وأومات ميراندا وهي متأثرة بتفاهمه وكرمه اللذين لم تكن
تتوقعهما، لكنها كانت قد خططت بالفعل فيما يتعلق بثوب
سوزان بشكل لا ينسف ميزانيتها المتواضعة* وأحست أن حبها
له أذاب الجفاف الذي بدا على وجهه ووهبها ذلك الشجاعة
على أن تقول له:

متى ستنتهي من الاجتماع؟

لماذا؟

سأنتظرك، ثم أودعك في المطار.

أفضل ألا تفعلني فقد أبقى لأخر لحظة*.

*لا يهم، الأمر يستحق ذلك من وجهة نظري ولو كان لبضع
دقائق*.

أمل ألا تكوني زوجة يسيطر عليها حب التملك.

هناك فارق بين الاهتمام وحب التملك واعتقد أنني أستطيع
أن أعرف الحد الفاصل بينهما*.

*ستكونين واحدة من النساء القلائل اللواتي يستطعن ذلك
بالنسبة إلى خبرتي على الأقل*.

وانتظر بفارغ صبر لم يخفه بينما كانت هي تقوم بجمع
أشائها ووضعها في حقيبتها*.

وجلس بجفاف في السيارة وهي تحدد إلى الأمام* سبح
بها الفكر وجعلها تحس برجفة، وبدأ صدى ملاحظته عن
الزوجة المحبة للتملك يتردد في ذهنها المرة تلو الأخرى* هل
هكذا يبدأ الشجار بين المحبين؟ هل الأمر بهذه السهولة؟

وأبطأت السيارة لتقف على بعد بضعة أمتار من نقطة

التقاطع بين الطريق الرئيسي مقابل ويلوغروف، وهو يقول:
هل يزعجك أن أنزلك هنا ذلك سيوفر علي الدوران الذي
يستغرق يوماً، عند نهاية شارعكم*.

بالطبع لا، سأراك عندما تعود، أتمنى لك رحلة طيبة.
ولم يبد أنه سيقوم بأي حركة تجاهها، وبعد أن ألقت
ميراندا نظرة خاطفة على وجهه استدارت ومدت يدها لتفتح
الباب فسمعه يقول:

ميراندا.

والتفتت إليه تواً، فأضاف:

*أنت تعرفين من الآن أنني أحيا حياتين، حياتي الشخصية
وحياة كارونا ستيل* وأنا أحاول الفصل بينهما رغم أن هذا
ليس سهلاً، أو ممكناً دوماً* ان لشركة كارونا ستيل مطالب
كثيرة، تحول دون الترفيه عن المرأة*.

هل تود تغيير رأيك؟

عن ماذا؟

عني.

وأقلت منه صيحة تعجب، وانزلت يدها عن عجلة القيادة
وهو يقول:

عني الي ذلك هو بالدقة ما أريد أن ألفت انتباهك إليه*.
سيت أنا ملاحظة معينة منذ برهة، اعترضت أنت عليها

ميراندا.

ثم أقعل.

فعلت، ان لم يكن بالكلام فبتغيير الكلام، فمنذ تلك
الحظة لذت بالصمت* كنت تريدين توديعي في المطار، لكن
في هذه المرة من الأفضل ألا تفعلني* سأسافر مع رجل أعمال
جديد، سأقابله هناك* وكل ما ستفعلينه حينئذ هو أنك ستقفين
بنت تكون ولن يكون هناك وقت لتبادل العواطف*.

هل تعني أنني سأكون مدعاة لتشتيت تفكيرك؟

ثم أقبل ذلك* ولا تضعي كلاماً من ابتكارك على لساني* كل

ما أحاول أن أوضحه هو أنه ستكون هناك مرات كثيرة يأتي عملي فيها في المكان الأول، وتلك المرة واحدة منها أنه لو أن النساء يدركن هذا فحسب ولا يمضين في إصرارهن الذي لا نهاية له... أن ذلك سيوفر متاعب لا أول لها ولا آخر...
 "أنك تبدو وكأنك تتكلم من واقع التجربة..."

"نعم..."

"قلت أنك تأخرت..."

"حسناً، سأراك بعد موسكو. وكل شيء سيكون على ما يرام بعد هذا اليوم..."

وكانت هناك ابتسامة خفيفة وقبلة أخرى من تلك القبلات المتعجلة التي تتركها وهي تحس بالارتباك وعدم الرضى. ونزلت من السيارة وشعرت بأن قلبها مثقل بالهموم وهي تدخل شقتها الساكنة. وأحست أنها بدأت تفقد من الحلم. لم يعد في إمكانها التخلص من الشكوك التي تراودها. قال لها أن كل شيء سيكون على ما يرام... هل سيكون الأمر كذلك فعلاً؟ هل يأخذ جاسون الزواج مأخذ الجد مثلها؟

توقعت أن الأيام ستزحف ثقيلة طويلة وهو بعيد، ولدهشتها، أحست أنها تطير طيرانا.

وفي عطلة نهاية الأسبوع ودعت أيام العمل في كارونا ستيل رسمياً لتبدأ أجازتها، وعملياً للأبد. ولم يحدث ما يستدعي أن تستشير سكرتيرته، ولم تندلع في الشركة أي أشاعة مفاجئة كاندلاع النار في الهشيم. ومع ذلك أحست بالضيق وهي تفرغ أدراج مكتبها من حاجياتها الشخصية وتضعها في حقيبتها. لا شك أنه سيكون أمراً رائعاً لو أنها أعلنت الخبر ووقفت ترقب كيف يستقبله مجتمعها. انها تود أن ترى وجه رينا هارفي عندما تسمع الخبر... لكن كان عليها أن تقنع بأخبار سوزان و راي وكها خشيت، أعربت سوزان عن غضبها منها وصاحت:

"كان عليك أن تخبريني. لم أكن لأنطق بكلمة واحدة،

وانت تعرفين ذلك..."

"قررنا أن تلك هي الطريقة المثلى. جاسون لم يرد جلبة..."
 "حسناً! الآن أتذكر أن عينيك كانتا تبدوان حالمتين عندما يكون قريباً. وكنت أعتقد أنه ليس لدينا ما نخفيه عن بعضنا البعض..."

وبمهارة حولت ميراندا المناقشة نحو ترتيبات الزفاف، وسرعان ما صفحت عنها سوزان في غمرة انفعالها بالتخطيط لها سترنديه، وقررت ميراندا عندما خرجتا للشراء في اليوم التالي أن ترتدي ثوباً من نسيج رقيق بلون العاج له أكمام كاملة على الطراز الفيكتوري، وفيه تطريز بخيوط فضية وغطاء للرأس من طراز جولييت. وهذا الثوب تستطيع بعد ذلك أن ترتديه في الحفلات أو المناسبات الخاصة. وبعد ذلك ركرتا على ثوب سوزان، وفي النهاية اختارتا قماشاً من الحرير يناسبها على نحو رائع. وبعد ذلك ذهبا إلى الشقة المقابلة جين التي وصلت حديثاً من أدنبره. وكانت جين فتاة ذات طبيعة وضاعة كالشمس المشرقة تحب المرح والصخب، فنكتبت قلباً وقالبا تساعد ميراندا في الاستعدادات الأخيرة ليوم العظيم.

وقد جاء بدا كأنما هناك حشد من المهام يجب القيام بها في آخر لحظة، من مشتريات وأعمال لا بد أن تتم، وفي يوم الاثنين وصلت حقائب الثياب وأدوات الزينة، التي طلبتها جاسون قبل أن يسافر، ونسى أن يخبرها بها، وفي اليوم التالي جاءت باقة أزهار وبطاقة كتب عليها جاسون: "أراك قريباً..."

وفي ذلك المساء صعدت جين السلالم إلى غرفتها عدواً لها فأسفا تكاد تنقطع وقالت لميراندا:

"مكالمة تليفونية شخصية - لا بد أنه هو..."

"من موسكو، لا يمكن..."

"لكنه كان جاسون بالفعل يطلبها من موسكو..."

وعندما تحدثت اليه استطاعت في أول الحديث أن تفاقىء، وبدأ صوته غريباً عبر البحر والقارة، لكنه كان هو، وتسارعت دقات قلبها سرورا وتدفعت الى شفيتها عبارات الود والحب، لكن لم يكن هناك وقت لذلك، فبعد مجاملة موجزة تحدثت سريعا وبجزم، وعندما انتهى من حديثه أحست ميراندا بالضيق والقلق، فقد حدث شيء غير متوقع يمنعه من أن يعود غداً.

كان عليه أن يقطع رحلته ليجري اتصالات عمل في براغ، كان ذلك ضرورياً، نظرا الى ما حدث من تطور جديد، وليس هناك حفر من الذهاب، وسألت ميراندا وهي تستعد لأسوأ الاحتمالات:

"لكن متى؟"

"يوم الجمعة، يوم الجمعة آخر النهار."

"لكن ذلك هو اليوم السابق..."

"لكنه ليس اليوم التالي، لا تقلقي، ولا تأتي الى المطار ما لم أخطررك، نامي مبكرا لتحافظي على جمالك."

"لكن ذلك يعني أنني لن أراك حتى..."

وانتهت المكالمة وخفت صوته بعيدا، اعتقدت أنه قال شيئا عن برقية لكنها لم تسمعه جيدا لانقطاع الخط، ولم تستطع أن تفعل شيئا الا أن تضع الساعة.

انتابها الذعر بعد أن تبدت لها كل الاحتمالات المزعجة، ربما لا يستطيع أن يجيء في موعده، ويتأخر مدة أطول عن المتوقع، وعندئذ يتعين تأجيل الزفاف، أو الفاؤه.

وظمأنتها جين بأن شيئا من هذا لن يحدث، فالرجال مثل جاسون يقفزون في طائرات الشركات الدولية كما تقفز ميراندا في المترو وأكدت لها أنه سيعود في الموعد حتما.

ودت ميراندا أن تشعر بمثل هذه الثقة، انها سيقومان برحلة تبدأ في مساء يوم السبت، وسيصل جاسون في الساعات الأولى من الصباح مما سيعني أنه سيطير حول نصف

العالم خلال يومين ليتوقف ساعات قليلة في لندن ليتزوج. وظلت مضطربة قلقة طوال يوم الاربعاء، والخميس قررت أن تتحدث تليفونيا مع الأنسة مايو، واستراحت حين علمت أنه على اتصال بالمكتب وأن الأنسة مايو واثقة من سلامة جدول مواعيده. لم يكن هناك مدعاة للقلق، فكل شيء يمكن السيطرة عليه.

وقالت جين لميراندا:

"عندما يجيء يوم السبت ستكون أعصابك قد تحطمت. هل تعرفين ما أفكر فيه؟ أرى أن نخرج. لنذهب الى برايتون للتسرية عن أنفسنا."

"لا أستطيع، سأذهب الى مصفف الشعر في المساء. وربما جاءت مكالمة تليفونية ولم يجدني."

تحدثت ميراندا من كل قلبها لو أنها عملت بنصيحة جين، فلو خرجت معها، لما كانت في المنزل عندما تحدثت سوزان، تليفونيا ثم ما لبثت أن جاءت اليها، وسرت ميراندا لرؤيتها وأن دهشت بسبب ذلك، لانها تعرف أن سوزان تعمل كجليسة أطفال. فقالت لها سوزان أن رأي صديقها أصر على أن تترك هذا العمل. وسألت سوزان عن جين فأخبرتها ميراندا أنها خرجت وأضافت:

"تحدثت الى الأنسة مايو هذا المساء وقالت انه سيعود في رحلة المساء نحو التاسعة، وسيحدثني تليفونيا بمجرد أن يصل الى البيت."

وتوقفت عندما لاحظت تعبير وجه سوزان المتيبس غير المبتسم وسألتها:

"سوزان ماذا حدث؟"

وقالت سوزان: "أنا... أنا... ومسحت شفيتها الجافتين وبدأت كمن يوشك أن ينخرط في البكاء وحدقت فيها ميراندا تبحث عن تفسير وفجأة اهتدت الى تفسير فقالت:

"أنك لم تأت لتقول لي أنك لن تستطيعي أن تجيئي

غدا؟ أوه، يا سوزان لن تتركيني لوخدي! سوف...
أوه، أود لو لم أكن قد أتيت أود... كيف سأقول؟
تقولين ماذا؟ ماذا يتعين عليك أن تقوليه؟

كنت أود لو أن جين هنا ربما أنا... انك ستكرهينني، لكن علي أن أخبرك وفي حالة ما إذا كان ذلك حقيقياً، فسيكون الوقت غداً قد تأخر.

سوزان، أخبريني بسرعة.

حسناً... ذاع الخبر الآن... في المكتب، وبالطبع دهش الجميع وتحدثوا عنه. جيم غرايسون - أنت تعرفين جيم الكبير رجل الصيانة، الذي يربت على كتف كل موظفة ويسميتها الجميلة، حتى الآنسة بيتسي القبيحة. قال انه لم يدهش لأن زميله توم رجل الأمن، الذي تعرفينه، قال له انه راكما أنت وجاسون تغادران المبني معا ذات ليلة بعدما رحل الجميع، لكنه لم ينبس ببنت شفة لأن تلك وظيفته ولأنه لا يريد أن يخوض في سيرة الناس.

وتوقفت سوزان فحشنتها ميراندا على الاستمرار فقالت هذه: *حسناً، لقد سألت أحدهم: لم كل هذه السرية؟ والتفتت الي رينا تريد أن تتبين ما ان كنت أعرف طوال هذه المدة ولماذا لم أخبرها. لقد نظرت الي كما لو كنت جاسوساً في وسطهم، وعندئذ قلت لها ان هذا ليس من شأنها. وعندئذ... لا أستطيع أن أتذكر كل كلمة قالتها، لكنها جعلتني أعدها أن أخبرك ببعض أشياء قبل أن يكون الوقت قد فات وقالت ان لم أقفل فستأتي هي هنا لتراك.*

هنا! ألا تعرف أنني سأزوج غدا؟ هل تعتقد أنني أهتم بأي شيء تقوله لي عن جاسون؟ أيا كان فانا لا أريد أن أسمع... أصبح كل ذلك هاضياً الآن. لا يهمني ان كان لديه حريم أو كان يحتفظ بنصف دسته من العشيقات. أنا أعرف أنه كان لجاسون علاقات. أعتقد أنني كنت سأقلق لو لم يكن له. انه ليس صبياً. لن أسمع أي شيء من تلك المرأة المسمومة.

أوه، كلا، أنت لا تفهمين. أنا أعرف أنها ثرثرة، لكنها ليست بهذا السوء. من فضلك اصفي الي. انك ستتركين خطأ فادحاً وتحطمين قلبك، انها مهمة بك حقاً، ولا بد من اخبارك.

شل جليد الخوف ميراندا ثانية. وهمست في رعب:
من الأفضل أن تخبريني، وننتهي من هذا الموضوع. لماذا لا يجب أن أتزوج جاسون.
لأن له علاقة مع امرأة متزوجة.

وبدت اللحظات دهرًا وميراندا تحدد بعينين مملوءتين رعباً في وجه صديقتها المليء بالتعاسة، واخيراً استطاعت بشق النفس أن تقول:

لا أصدق هذا. ليس هذا حقيقياً. لا يمكن هذا. من هي؟
لا أعرف. لم ترد رينا اخباري. اذ قالت لا أسماء الآن حتى لا أكر على نفسي المتاعب لو عرف هذا. لكنها أقسمت أنها رأتها معا اخيراً وأنها تعتقد أن هذا حقيقي.

لم تستطع ميراندا أن تنطق. ونظرت سوزان الى خديها اللذين اكتسبا بياض الموت، وقالت لها:

هل انت على ما يرام. أنا آسفة، لكن كان علي أن أخبرك. ما كنت لأغفر لنفسي لو أخفيت عنك الأمر.

ان الوقت متأخر الآن. لقد فات الأوان... فانا أحبه.

سوى أن ترد باقتضاب . وظل السؤال حبيسا في صدرها
يتعصرها ألما وهي تتلهف أن تسمع منه كلمة يؤكد فيها حبه
لها ، كلمة تقضي على شكوكها ، ويبدو أنه أحس بما يجول في
خاطرهما ، فأسرع يقول:

لن أستيقظ ، فأنا نفسي تطوف بي مثل مشاعرك
مثل ماذا؟

*مثلا تبدين أنت: "متقطعة الأنفاس عاجزة عن الاستمرار"
لكن لا تقلقي فالغد غدنا يا حلوة*.

يا حلوة... كررت الكلمة لنفسها بنعومة . كانت هذه الكلمة
تشير الى عمق حبه لها ، ذلك الحب الذي تبحث عنه طويلا لا
كمثل تلك العاطفة الهشة التي أظهرها في بعض الأحيان
والتي شعرت بغريزتها أنها عاطفة مصطنعة يتقنها الرجال
لإرضاء النساء . ان اللوم يجب أن يوجه اليها نحن معشر
النساء فأننا نريد فيضاً مستمرا من التعبير عن حب الرجال لنا
والرجال يستطيعون أن يفعلوا ذلك بطريقة آلية .

وأدارت عينيها تتأمل الغرفة بعينين مضطربتين ، تلك آخر
مرة ستنام فيها هنا . وقريبا تنام هنا فتاة أخرى تداعب
جفنيها أحلام عذبة في هذا السرير . وجاءت جين تطمئن
عليها وهمست قائلة:

ميراندا ، أمازلت يقظة؟

نعم.

*هلا تنامين بحق السماء . هل تودين أن تكوني محطمة في

يوم زواجك؟*

لا أستطيع أن انام ، ولا أعرف ماذا أفعل.

*قلت لك ، انسي الموضوع . افترض انك ذهبت اليه وناقشت
الأمر معه ووجدت أنه مجرد إشاعة . لابد أن تقضي اليه بما

يشاع عنه وأن تعطيهِ الفرصة للنفي*.

لكنها كانت تعرف ماذا سيكون عليه رد فعله: غضب بارد

وربما انسحاب من الأمر كله .

٧ - ليلة العرس البيضاء

امراة متزوجة...

هجر النوم ميراندا عشية زواجها . وثلاثت في ذهنها
الأحداث التي مرت بها : ما كشفت له سوزان ونصائح جين
وكل ما سمعته عن جاسون .

لكن كل هذا ينتمي الى الماضي . حتى لو كان حقيقيا . انه
لا يمت بصلة الى الحاضر . فالمنطق يؤكد أن غمزات رينا لا
يمكن أن تكون حقيقية ، ألم تشاركه هي نفسها الكثير من
أمسياته الخالية من العمل وعطلاته الأسبوعية منذ أن طلب
منها الزواج . ورجل كهذا مثقل بمسؤوليات جسام وأعمال
وسفريات عديدة لا يمكن أن يكون لديه وقت لما تدعيه رينا
من علاقة بينه وبين امرأة أخرى . ان رينا يمكن أن تخلق أي
قصص لتزوجها عند أية همسة من أشاعة ، ولكن لا يمكن أن
تكون له علاقة بهذه المرأة .

هضت سوزان وهي تحس بالتعاسة ، وجاءت جين وعرفت
أسباب الحالة البائسة التي وجدت فيها ميراندا ، وغضبت
وصدمت وهتفت قائلة:

*أما أن تنسي ذلك وتثقي فيه او تطلبه تليفونيا وتعرفي منه
الحقيقة*.

ولم تستطع ميراندا أن تفعل أية من الأمرين . وعندما طلبها
جاسون تليفونيا في العاشرة كما وعد لم تستطع

لن يقر ولن ينفي، وسيكون هذا هو نهاية كل شيء، وإذا كان الشك بينهما قد بلغ هذا الحد، فما هي الثقة أو الحب؟ واستطردت جين تقول لها:

• هناك دائما دافع وراء هذه الاشاعات فمثيرو الاشاعات يسعدهم أن يدمروا ما حرمواهم منه •

لكن سوزان ليست من هذا النوع،

وأخيرا راحت في سبات عميق، وبدالها أن ذلك لم يدم سوى لحظات عندما لمست جين كتفها وهي تقول:

• استيقظي ••• ها هو شاي الصباح للعروس ••

• كم الساعة الآن؟ •

ونظرت الى الساعة وهتفت مذعورة:

• الثامنة والنصف والتاكسي سيأتي في العاشرة ••

• اهداي • كل شيء يمكن التحكم فيه تماما، لديك خمس دقائق للشاي بينما أعد لك حمامك • كل ما عليك أن تفعله هو اطاعة الأوامر ••

نظمت السيدة سوندرز وجين كل شيء، واهتما أول كل شيء بطمأنة ميراندا • وعندما جلست هذه امام المراة قالت لها جين:

• أنت في حاجة الى لصة ألوان على هذه الخدود ••

وعلمت السيدة سوندرز:

• انه مجرد توتر يسبق الزواج • كنت أنا ايضا أبدو كذلك عند زواجي ••

• أنت يا خالتي، أعتقد أن عمي اندرو كان يبدو أسوأ عشر مرات ••

• أمضى عمك اندرو ليلته مستيقظا يتساءل هل أتزوجه أم أتزوج أفضل رجل يتقدم الي ••

وجاءت سوزان بالتاكسي حيث ذهبا الى مكتب التسجيل ولم ينطق أي منهما بحرف طوال الرحلة • كانت سوزان تحس بالذنب وبدأت ميراندا ترتعش وهما تدخلان المبنى • كان

أول شخص رأياه هو جاسون، الذي بدا وسيما جذابا في البذلة السوداء الرسمية، وتقدم اليها ومعه رجل طاعن في السن قوي البنية وجهه مألوف لميراندا بصورة واضحة • وقال لها جاسون إنك تبدين رائعة للغاية ••

• هل أبدو كذلك؟ •

• لا أعتقد أنك قابلت من قبل سير شارل، رئيسنا • شارل تلك هي عروستي، الآنسة ميك وعلق سير شارل:

• انها عروس جميلة للغاية • أنا مسرور لرؤياك يا عزيزتي • وأمل أن يستحقك عريسك، ها هي زوجتي جاءت ••

وبدا سير شارل في تقديم كل منهما للآخرى • وفي اللحظة نفسها انتهت مراسم الزواج السابق وبدأ الاحتفال القصير الذي أصبحت ميراندا بعده السيدة جاسون ستيل •

انها تتذكر تفاصيل قليلة من يوم الزواج هذا • اذ وقع سير شارل على العقد كشاهد ثم قال لجاسون:

• قبل عروسك يا بني وكانت سوزان تتعثر في هسيتها • وأضحت أنوار آلات التصوير ••

ورجعا في سيارة سير شارل الى بايرن سكوير • وعندما أصبحا منفردين في السيارة عانقها ثم سألها:

• هل تكرهين كل هذه الضجة ••

• كلا، بالطبع ••

• مع كل التبجيل لأحلام النساء، أعتزف أنني ممتن أننا لمنا البعد عن الضجيج • بصراحة ان الخيال يجفل مما كان سببته في نفسي هذا الضجيج ••

وأخذ يدها حيث أشار الى مكان خاتم الزواج وقال:

• اليس هذا هو الشيء الأساسي؟ •

وخفضت رأسها ودقات قلبها تتسارع • وأضاف:

• لو خالفت الآنسة جايو و ليبي والسير شارل تعليماتي لفصلتهم ••

• إنك لا تستطيع أن تفصل سير شارل ••

لأسف لا ، لكني سأجد وسيلة للانتقام .

لم تكن تشك في هذا وعندما وصلا الى المنزل ودخلا ، رايا في الردهة الهدايا التي قدمت اليهما ، من سوزان وراي وجين وخالتهما ومن سير شارل وزوجته ومن والي امبروز الذي كانت تعرفه بالنظر فقط ، وقوجا بوجود والي منتظرا مع مجموعة من الرجال في البيت . لما رآهما قال لهما :

لقد نشرت الخبر في المدينة . فلا يمكن أن أدعكما ترحلان بلا وداع !

وكان من الواضح أن والي نظم احتفالا جميلا سادته جو من الصخب والهرج والمرج . وعندما آن وقت رحيلهما بدا جاسون ممثنا للخلاص من هذا الضجيج وفي الشارع شاهدا سيارة سير شارل وسيارة والي مزينة بالاشرطة على أهبة الاستعداد لاستقبال العروسين وتسابقت الأيدي لمصافحتها . وكان سير شارل واقفا قرب سيارته يلوح لهما . وأخذ جاسون العروس وعانقها وتعالى الصيحات والهتافات ، ثم جرى بها الى سيارة سير شارل الذي فتح لهما بابها ودخلا وانطلقت بهما الى المطار ، واستغرقا بعض الوقت حتى استرجعا انفسهما .

قضت الرحلة الطويلة عبر الاطلسي سهلة يسيرة بلا تأخير ، وكانت تجربة جديدة مثيرة بالنسبة الى ميراندا . ومع أن التجربة لم تكن كذلك بالنسبة الى جاسون فانه كان يشاركها سرورها ، لكنه بعد أن توقفت الطائرة في برمودا قال لها انه سيغفو قليلا فلا حاجة به للتطلع الى المناظر التي يهران فوقها أثناء الرحلة اذ سبق أن شاهدها مرارا ، وان نظرها سينصرف عنه الى تلك المشاهد فقالت له :

لا أعرف كيف تستطيع ؟

استطيع ماذا ؟ أن أنام في شهر عسلي ؟

كلا ، أقصد كيف تستطيع أن تتجاهل كل هذا الجمال حتى لو كنت رأيت من قبل ؟ انه لشيء جميل جدا .

انتظري حتى تري غروب الشمس .

وأغمض عينيّه مؤكدا عزمه على النوم .

وظلت تتأمله وهو نائم الى أن فتح عينيّه وقال :

لا تنظري الي كذلك . . . فأنا لا أستطيع . . . هناك أناس كثيرون في الطائرة أم يجب أن . . . هناك أربع ساعات على الأقل قبل أن نصبح وحدنا . . .

وفي هذه اللحظة جاءت المضيفة تسألها ان كانا يريدان شيئا وأحست ميراندا أن مجيئها لم يكن في الوقت المناسب ، فشكرها جاسون وصرفها ثم قال لميراندا :

وجهك يحمر خجلا يا حلوتي .

ماذا تتوقع ؟ انها غلظتك !

أذن سألتقى قدرا هائلا من اللوم . في أي حال فاني أود دوما رؤية لون وجهك هذا .

أعتقد أنك تود أن تنام .

هرب مني النوم . أريد شخصا يحكي لي قصة قبل النوم .

أي حكايات الاطفال تفضل ؟

كبرت على ذلك منذ وقت طويل . كنت أتوقع منك اقتراحات أكثر رومانسية .

ثم يا حبيبي أو . . .

من في تلك الحكايات هو الشخص الذي نام وأيقظوه بقبلة ؟ ان هذا يناسبني أكثر من غيره .

وفي الموعد المحدد هبطت الطائرة في مدينة مكسيكو ، وهناك واجها أول تأخير . اذ تأخرت الطائرة التي سيكلان بها رحلتها لمدة ساعة وأخذ هو يدخل في عصبية في حين ظلت هي هادئة ساكنة ، ولم تسترح الا عندما أقبلما من جديد وقال لها :

لو كان كل الركاب صبورين مثلك لما سافر أي انسان الى أي مكان . ستكون هناك مفاجأة صغيرة لك في الفندق .

مفاجأة ؟ لم أكن أعرف أنه يمكن ترتيب المفاجآت من بعيد .

تستطيعين أن ترتبي أي شيء من أي مكان لو عرفت السبيل إلى ذلك.

ولم يذكر شيئاً آخر في هذا الصدد وتركها تخمن ما تشاء عن هذه المفاجآت، ولما تكلمت منه كفت عن التفكير فيها، وأخيراً هبطت الطائرة، وخرجوا إلى الكابولكو والليل المكسيكي، إلى مشاهد وأصوات وموسيقى وضحكات وأزهار جديدة بددت كل أثر للأرهاق.

ولم تدر ميراندا أن يدها تسلمت إلى يد جاسون وأن عينيها تومضان ببريق الفرحة، وظلت محلقة في عالم بهيج، فلم تشعر بالوقت إلا والتأكسي يقف أمام الفندق وصبيان يهرعان إليهما لحمل الحقائب. وعندما دخلا أسرع موظفو الاستقبال يولون جاسون كل الاحتعام وهو الأمر الذي كاد أن يصبح حقاً له في كل مكان.

وخرجاً ثانية من الفندق مع أحد موظفي الاستقبال وسارا بين الحدائق والنباتات التي تضيئها فوانيس ذهبية كادت تحيلها نهاراً، وكان هناك حمام سباحة بيضاوي، تطفو فيه زهور يانعة، وخلفه فيلا صغيرة، قادهما رجل الفندق إليها. كانت الفيلا رائعة مفروشة على الطراز المكسيكي تضم غرفة جلوس تفضي إلى حديقة تنساب فيها الموسيقى من مصدر غير واضح كما تضم مطبخاً صغيراً مجهزاً بكل الأدوات والأطعمة والمشروبات وغرفة نوم كبيرة جيدة التهوية، تطل على البحر، وحمام غاية في الاتساع والنظافة، وفي الفندق ثلاثة مطاعم، لهما الخيار بينهما، أو إذا أرادا يطلبان طعامهما في الفيلا. وكان للفيلا حمام سباحة خاص.

وأبلغ جاسون رجل الفندق أن كل شيء على ما يرام، في حين أخذت ميراندا تحديق حولها في انبهار. وجاء عدد آخر من العاملين في الفندق يحملون عشرات العلب البيضاء الكبيرة وعليها علامة ذهبية مطبوعة في ركن منها، وشريط ذهبي يلف كلا منها، ووضعوها في غرفة النوم كما أمرهم جاسون وأخذوا

بقشيشاً وانصرفوا، وبعد انصرافهم قال جاسون لميراندا:

حسنًا ياسيدة ستيل، هل توافقين على الفيلا؟

انها رائعة.

رأيت أنك تفضلينها على الأجنحة التقليدية في الفنادق. فهنا يمكن الاسترخاء كيفما يريد المرء والآن هيا بنا نفتح العلب.

هل جميعها لي؟

عندما تفتحينها ستريين على وجه التأكيد أنها ليست لي.

وترددت قليلاً ثم مضت إلى غرفة النوم حيث كانت العلب مكدسة في أكوام، ورفعت العلبة العليا منها وفتحتها فوجدت ثوباً نسائياً طويلاً فضفاضاً بلون المشمش، ومجموعة أخرى من الثياب باللون نفسه، وانهمكت كالحمومة في فض العلب واحدة بعد الأخرى، وفي كل مرة تغلت منها صيحة فرح وابتهاج. إذ وجدت فيها كل ما تحتاجه سيدة أنيقة تشتري ملابسها من أرقى المحلات، ويكل الألوان وجاءها صوت جاسون:

هل مقاسها مناسب؟

أعتقد هذا، لم أجرب أيّاً منها بعد... لكن يا جاسون، لا يمكن أن تشتري كل هذا، إنه يساوي ثروة.

هل تعجبك؟

تماماً، انها رائعة، لكن...

فكرت في أن تختاري بنفسك ما تودين، لكنني خشيت من أن خجلك يمنعك من الاختيار.

انها جميلة، انك غاية في الكرم.

ونظر إلى العلب وهتف في قلق:

هل فتحتها جميعاً؟

أعتقد هذا. ماذا هناك؟ هل أرسلوا أشياء خطأ؟

وقفزت إلى استنتاج مؤداه أن خطأ كبيراً حدث، وأن هذه الأشياء ليست لها، انها لغروس أخرى، أو لنجمة سينما

وقال جاسون وهو يقذف إحدى اللعب الفارغة بقدمه:
"الأغبياء، لقد أخطأ شخص ما، هناك أشياء ناقصة، تلك
الفتاة الملعونة، أرسلت كل الألوان المعروفة عدا اللون
المهم...".

أخيراً أدركت ما كان يعنيه، فلم يكن ثوب العروس الأبيض
التقليدي موجوداً، وقالت له وهي تبدأ في وضعها على
العلاقات:

"لا يهم، لن أغيرها بأي شيء آخر، حتى باللون الأبيض
كالتنج، ولا أعتقد أنني في حاجة إلى إفرانها من عليها فيما
عدا ثوب السباحة...".

"هل ستفرغينها أم تأخذين حماماً أولاً؟"

"أفضل أن أفرغها أولاً...".

"أذن سأخذ أنا حماماً الآن...".

وعندما عاد وجد أنها ما زالت منهكة في الترتيب فسألها
إن كانت تريد عوناً فشكرته مؤكداً أنها تستطيع أن تنهض
بالامر وحدها، فجلس يرقبها بعينين نصف مغمضتين وأخيراً
قال لها:

"أتركك الباقي بحق السماء وتعالني هنا...".

وبدأت تدرك ما تعنيه هذه الليلة فقالت:

"كنت أنتهي منها لا أستطيع أن أترك كل هذا...".

وانهكت في العمل حتى جاءت الحقيقة الأخيرة ووجدت
فيها الأشياء التي اشتريتها هي، كانت لا تقارن بفخام
وروعة وغلاء ما اشتراه جاسون فتركها مكانها في الحقيقة
بدون أن تفرغها.

وتحرك بهدوء ووضع يده على كتفها وأدارها إليه،
وتسارعت دقات قلبها وأحست بالحاجة إلى الاطمئنان، لو أنه
يقول أنه يحبها وسألها:

"هل قال لك أحد كم تبدين جميلة اليوم؟"

"قلت لي أنت نفسك وكذلك سوزان وسير شارل...".

"سير شارل وسوزان: أعتقد فعلاً أنك غير مغرورة، ما هي
الفضائل الأخرى التي يتعين علي أن أكتشفها فيك؟ الصبر،
التواضع الحلم، البراعة...".

"أنت تجعل الفضائل تبدو مهمة للغاية، لكنك نسيت أشياء
أخرى منها أنني عنيدة، وسليطة اللسان، ومجموعة أخرى من
الصفات لقد قلت ذلك بنفسك، هل تذكر؟ في تلك الليلة عندما
وجدتني في مكتبك!

"ذكرت كثيراً من الأشياء المفزعة في تلك الليلة، أليس
كذلك؟ لكنني مازلت غير متأكد من مدى استحقاقك لها...".

وجذبها إليه، وتسربت إليها رائحة جسمه الدافئة وهو يقول
لها:

"نعم إن لك أغواراً بعيدة لم تسبر بعد، وسأسبرها جميعها
واحدة بعد الأخرى...".

وهرعت إلى الحمام، وكالمحمومة نظفت أسنانها وأخذت
حماماً سريعاً وارتدت ملابسها وعادت إلى الغرفة، فوجدته
مستلقياً على ظهره ويداه خلف رأسه، ونظر إليها بدون أن
يتحرك، فقالت له:

"سأجرب الثياب جميعها، ثم...".

"تأخر الوقت لأجاء عرض أزياء...".

وأطفا المصباح المعلق إلى أعلى فوق رأسه، وأكد لها أنه
يدومع منها أن تنام في السرير الآخر بجوار سريرها فقالت:

"لكن... لكن...".

"لكن ماذا؟"

"إنها ليلة زفافنا...".

"أم أنس ذلك...".

وبل فترة يحدق فيها ببرود حتى خففت رأسها، لم تتصور
أن ينتهي الأمور كذلك، ولم تدرك ماذا تفعل، فخلعت روبيها
والسنة على الكرسي، ونادى عليها:

ميراندا . انا لست من أنصار الحب من قبيل الواجب . فحتى
التضحية بالعدرية لا تغريني على ذلك . عرفت منذ أن قابلتك ،
كم سيكون الأمر صعبا ، لكنني

أذن لماذا تزوجتني ؟

لم تصغ لكلامي حتى نهايته . كنت سأقول أنني كنت على ثقة
من أن الأمر سيكون دوما على هذا النحو . فرغم أنك تزوجتني
فأنك لا تثقين بي .

بل أثق ، أنا

أنك لست مقنعة في كذبك ، لكني لن أجادل . وفي الوقت
الحالي لنقل أن الثماني والأربعين ساعة الماضية كانت مرهقة
جدا ولنترك الأمر عند هذا .

فهمت ، أنك تعب من السفر .

كلا لست كذلك ، ولست تعباً أصلا . لكني لست في حالة تسمح
بالتوود المطول ، لذلك أنصحك بأن تنامي حفاظا على
جمالك .

لو كانت هذه رغبتك .

نعم ، والأمانة تقتضي أن تعترفني بأنها رغبتك أيضا .

فتسللت الى السرير الآخر ، ورقدت وساد الصمت الغرفة .
لكن النوم جفاها وأخذت تستمرض كل ما مر وتساءل هل
أخطأت ، وأدركت أن البداية لم تكن موفقة من جانبها .

٨ - الليلة الثانية

أيقنت ميراندا أن النوم سيجافئها خلال تلك الساعات
الطويلة التعبة ، رغم أن أرهاقا مميتا بدأ يزحف على جسدها ،
تاركا ذهنها وعواطفها فقط مستيقظة يلهيها الألم بسياطه .

وسمعت جاسون يتحرك في فراشه ، فحيست أنفاسها
متسائلة هل ما زال مستيقظا ، وتمنت من كل قلبها أن يتمتم
أو يتكلم عبر الظلام فتستمد من ذلك راحة . لكنه لم يفعل ،
وعبست ثانية . من المؤكد أن تلك أقسى أنواع الوحدة . فهي
وحيدة وإن لم تكن وحيدة ، زوجها ينام في سرير آخر الى
جوار سريرها . وأخيرا هدها التعب فنامت . وكانت تلك أول
تجربة . أما التجربة الثانية التي تعرضت لها فكانت
الاستيقاظ المفاجيء ثم لحظة الادراك التي تأتي مع فهم
الظروف . وجلست ورأت السائر ما تزال مسدلة رغم أن
الاصوات الآتية من الخارج كانت تبين أن يوم اجازة ولعب آخر
قد بدأ . ثم أدركت أنها وحدها . ونظرت الى ساعتها فوجدت
أنها الثالثة . فظننت أنها متوقفة ، ووضعتها على أذنها
فوجدتها منتظمة ولم تتوقف ، ونهضت من السرير ووجدت
الحمام خاليا وروب جاسون الأزرق على علاقة خلف الباب .
وأدركت أن خلو الجناح لم يكن وليد خيالها . وجعلها الرعب
يسرع الخطى في الغرف الاخرى لتفتش عنه ولا تجده فتبطيء
وهي تعود الى غرفة النوم . أين ذهب جاسون ؟

١ وأخذت حماماً سريعاً وأرتدت ملابسها ومشطت شعرها ورغم احساسها بالعطش لم تتوقف لتشرب وأسرعت الى الخارج. ولفحتها حرارة الجو، كانت السماء صحواء، ثم استطاعت أن ترى ما حولها. كان الجزء الرئيسي من الفندق يقع الى يسارها، والحديقة تمتد منه في شكل هلال حتى تطل على الخليج، والأجنحة تمتد على أطرافها، وكلها بيضاء ولكل منها حوض سباحة خاص به ورأت الجميع يستمتعون بالقفز واللعب والسباحة. فخلعت رداء الشاطئ الذي يعلو ثوب السباحة وقفزت في الحوض الخاص بهما، وهي تقول ان كان جاسون قد ذهب الى مكان ما على هواء، فلتغتنم هي فرصة وجود حوض السباحة. وأخذت تسبح وهي تحاول أن تقنع نفسها بأنها لا تبالي وأنه من الأفضل لها أن تموت قبل أن يعرف جاسون أنها تبالي، وفجأة رأت ظله يسقط على الماء ونظرت اليه ورأته يحدق فيها، فقاضت عيناها بالدموع. وقال لها:

"الافطار في الطريق، من الأفضل أن تخرجي".
ولم يمد يده ليساعدها على الخروج. وتمنت ألا يلحظ الدموع التي اختلطت بقطرات الماء وقالت له:
"أي افطار، هل تقصد الشاي، أليس كذلك؟ كان عليك أن تخبرني أنك سترحل طول اليوم".
"شاي؟ طول اليوم؟ ما الذي تتحدثين عنه؟"
"لا تحاول أن تبدو ظريفاً".

وتجاوزته الى حيث جاءت بمنشفة ثم عادت فرأت الخادمة المكسيكية الصغيرة قادمة وهي تدفع عربة طعام مغطاة وبدأت تفرغ الاطباق والأكواب على مائدة صغيرة وقدمت لميراندا قائمة طعام، وقال لها جاسون أنها تسأل هل تودين افطاراً فرنسياً أو أميركياً أو مكسيكياً فردت ميراندا بحدّة:
"اسمع، أنا أعرف أنني نمت، لكنك لا يجب أن تفالي الى هذا الحد، قل لها أنني أريد فاكهة وخبزاً فقط مع القهوة".
وهز كتفيه وتحدث للفتاة باللغة المكسيكية

فابتسمت وهبأت في رفع الأشياء. وجلس جاسون وهو يسألها:
"في أي وقت تعتقدين أنك استيقظت؟"
"في الساعة الثالثة".
فضحك وهو يقول:

"في الساعة الثالثة! هل عرفت ما نسيت؟"
وعندما عجزت عن الرد قال:
"نسيت ضبط ساعتك على الوقت الحالي. وهناك فارق ست ساعات!"

هل هذا هو كل ما يستطيع أن يتحدث فيه، حقائقها حول أمور صغيرة. فهتفت محددة:
"ثم ماذا؟ ما أهمية ذلك؟"
"حقاً، ما أهمية ذلك؟"

وفي صمت سكب لنفسه فتجان قهوة وبدأ يقرأ جريدته. ونسيت ميراندا غصبة الكبرياء الوجيزة، في غمار تذكرها لكل ما مر بها في الليلة الفائتة. وبدأت تشعر كطفل يعرف أنه أخفق، رغم تلهفه أن يكون مبعث سرور، وبدأت ثانية في تأنيب الذات. لماذا شعرت بالرغبة في التملص من جاسون الليلة الفائتة؟ ولم تتجاوب معه؟ من الغباء انكار لحظات التملص الوجيزة المحيرة هذه، وخداع نفسها بأنه لم يلحظها والأكثر غباء أن تنكر تأثيره عليها... ان مجرد التفكير فيه يرسل رجفة في قلبها. لم تستطع الاجابة على هذه الاسئلة، ولم تتبين الطريقة التي تحطم بها الحاجز الذي أحسب بوجوده بينهما هذا الصباح. وعندما طوى الصحيفة قال ببرود:

"طلبت سيارة، لا اعتقادي أنك تودين استكشاف المدينة".
ووقف وسار بجوار حوض السباحة وهو يقول:
"سأعود خلال ربع ساعة، ولذا فمن الأفضل أن تغيري ملابسك".

ويدون رد فعلت ما أمر به، وعندما عادت كان لا يزال واقفا هناك وسألها:

"هل أنت مستعدة؟ وأخذ نظارته الشمسية ولبسها. وأضافت العدسات السوداء الكبيرة المزيد إلى قسمااته الغامضة. وتنهدت وهي تسير معه إلى حيث تنتظر السيارة."

وكانت هناك في هذا اليوم مناظر كثيرة استحوذت على انتباهها من المخلات الفاخرة والمقاهي السياحية الجذابة ومغازل المدينة القديمة بشفراتها المليئة بأحواض الزهور وحبال الغسيل. وفي وقت الغداء حجز جاسون مائدة في مطعم يطل على البحر، حيث استطاعت من حيث تجلس أن ترى الخليج والتلال التي تحيط بالميناء. كان مشهدا تحبس له الأنفاس، لكن الحاجز القائم بينهما بقي، مفسدا ما كان يمكن أن يكون يوم سرور بالغ.

وعندما انتهى المساء شعرت بالحرارة والتعب. ولم تأسف عندما أعلن لها جاسون موعد عودتهما للفندق عزمه على أخذ دش ثم السباحة في الحوض الرئيسي في الجانب الآخر من الفندق، لكن عندما نزلا من السيارة سمعا شخصا ما ينادي جاسون، فالتفتا ورأيا رجلا في أواسط العمر قوي البنية يتقدم إليهما.

وتبين أن القادم الجديد رجل أعمال اميركي من معارف جاسون، وعندما عرف بحقيقة المناسبة التي جاء من أجلها أصر على أن يكون ميراندا وجاسون ضيفيه على العشاء تلك الليلة. كان اسمه رون، وتألفت معه ميراندا قورا رغم الحذر الطفيف الذي أحسسته من جاسون تجاهه وأخذ رون يتحدث عن أسرته في اوكلاند، وعن ابنته التي يقترب موعد زواجها والاستعدادات التي تتم من أجل ذلك. واقتربا على أن يلتقيا مساء.

وعندما كانا يرتديان ملابسهما للعشاء سأله:
"من هم الكلا فاديساس؟"

قال رون أننا سنراهم الليلة.
فرد جاسون: "انهم الغواصون."

ولم يزد، فقد كان منصرفا إلى افكاره. كان يبدو وسيما للغاية في الملابس التي اختارها، وودت أن ترتقي بين ذراعيه، لتلتصق بقلبه. لكنها لا تستطيع أن تقوم بالخطوة الاولى، خوفا من صده وبينما أخذت تصعد بعض التلهدات أضافت اللمسات الأخيرة بالعطور وتأملت نفسها مدققة في المرأة، وتساعدت دقائق قلبها وجاسون يرمقها بنظرة اعجاب وان لم يعلق بغير عبارة:
"هل أنت جاهزة؟"

قالها مصحوبة برفع حاجبيه. وعلى العشاء كان مصيقيهما على سجيته. فأبدى اعجابه بها باستفاضة، مما جعل خديها يتوردان وهو يقول لجاسون انه جد محظوظ اذ كسب تلك العروس الساحرة.

كان عشاء فاخرا مع رجل ولد مضييفا بطبيعته وفي جو رومانسي على نحو مذهش. وأحست بزوال التوتر وبلاسترخاء وبقليل من السعادة وأضفى الوميض الناعم للمصباح الموضوع بين الزهور خديها لونا ورديا وضاء. وكشف عن النداء الحنون في عينيها، الذي لم تكن تدركه. وأحدثت السهرة أثرها السحري، وعندما حان الوقت ليظهر الغواص هتفت:
"انه سوف لا يقفز من هناك!"

وأوما رون بالموافقة وساد الصمت. عندما صعد الغواص الشاب النحيل إلى قمة صخرة عالية وكان يمسك في يديه مصباحين مضيئين. ووقف هناك بلا حراك وبعد ذلك قفز من عل وهو يحرك المصباحين فوق رأسه مما جعله يبدو كالتنجم اذا هوى. وكان الماء منخفضا عن مكان القفز بما يزيد عن مائة قدم.

وانغمضت ميراندا عينيها ورددت أفواه أخرى الزفرة التي أطلقتها وقال رون:

"اعتقد أن عمق الماء يبلغ ثمانى عشرة قدماً، انه رائع."
وهمست ميراندا بخوف وهي تنظر الى أسفل:
"هل هو بخير؟"

فرد جاسون وهو ينظر بدوره:
"نعم ها هو!"

ورأت ميراندا الفواص يخرج من الماء ثم يتسلق الصخور
وبعد ذلك يختفي عن مجال رؤيتهم.

وحان وقت الذهاب. واشتد الاحساس بالاسترخاء بعد هذه
الوجبة الفاخرة، وسار الرجلان يثرثران في كسل في طريق
العودة الى الفندق، وودعت ميراندا رون وهي تحس بالأسف
لصداقة جديدة ستدخل سريعاً. هل سيرونه في لندن؟ هل
ستتاح لها فرصة زيارته هو وأسرته في الولايات المتحدة لو
جاءت لجاسون رحلة عمل الى هناك؟ لو أن كل الصداقات
القصيرة التي نعقدها تصبح دائمة لاصبح لنا عدد لا يحصى من
الأصدقاء. وعندما وصلا الى جناحهما قال لها جاسون:

"انك تبدين هادئة تماماً، لم تندمي على تلك الأمسية التي
أمضيناها مع رون العجوز."

"أوه، كلا استمتعت بها لأقصى حد. وأنت؟"

"يمكن أن أقول أنها كانت تغييراً مثالياً."

وبدون أن ينتظر ردها مال عليها وعانقها. وبعد لحظات
عميم قائلاً:

"انك تبدين جميلة للغاية الليلة."

ولم يعطها أيضاً فرصة للرد.

وقفت ساكنة بين ذراعيه، ثم انتابها احساس طاع
بالفرح، وبدأت نبضات قلبها تتسارع. وببطء رفعت يديها
وأمسكت بهما كتفيه وان كانت لا تزال خجلى في استجابتها،
فقوى قبضته عليها وزاد من عنف ضمه لها وسألها:

"هل لازلت خجلى منى؟"

وضغطت وجهها على كتفه وهي تقول:

"ليس على وجه الدقة، لكن... تلك هي المرة الاولى في
حياتي!"

"أنا مدرك لهذا. هل يبدو الأمر شنيعاً؟"

"كلا اذا... كلا اذا لم تكن نافذ الصبر معي على نحو مجنون،
واذا... فقال وهو يفك شريط شعرها الذي انسدل بين
أصابعه:

"اذا ماذا؟ استمري يا عروستي الجميلة الصغيرة. تكلمي بينما
تتألفين مع المرات الاولى بين رجل وامرأة."

"لكنها المرة الاولى بالنسبة الي يا جاسون. اما بالنسبة اليك
فهي ليست كذلك."

وأحست أنه بدأ يتوتر فقالت:

"لم أقصد هذا، حاول ان تفهمني. اني أدرك أنك لا بد قد
عرفت نساء أخريات، وأنه كانت لك علاقات قبل أن تلقاني.
لكني أنا لم تكن لي علاقات، لذا فأنا لست واثقة مما تريده
منى."

"اعتقد ان هذه بحار لا يجب أن نغامر بالخوض فيها، لن انكر
الماضي، لكنه آخر شيء أود تذكره في هذه اللحظة."

"ان الامر كما تقول، ولا أود أن أخذك أيداً."

"من قال أي شيء عن الخذلان. أنا لم أقل شيئاً..."

"نعم لكن الليلة الفائتة... لماذا قلت؟"

"قلت ماذا؟"

"أنك... انني لم..."

وفقد صبره فهتف بها قائلاً:

"أنك ماذا؟"

"انني لم أستجب لك."

"كان هذا في الليلة الفائتة. وهو خارج عن سياق حديثنا
تماماً. هل دائماً تستشهدين بموضوعات من خارج السياق،
يا حبيبتي؟"

"كلا... لكن... لم أقصد أنك فكرت اني لم اكن أريدك."

"لا اعتقد أنك كنت متأكدة من أي شيء حينذاك".
"أردت أن أعرف قحسب".
"فهمت ما تريد".

ومضت يداها تعزفان موسيقى الحب وهو يهمس:
"ألم تسمعي من يقول أن لكل شيء أوانه؟"
ورفع ذقنها بيده وهو يحدق في وجهها بحب.
وذهبا إلى غرفتها حيث تبددت مشاغلها وشكوكها في الليل
المكسيكي الدافئ والمظلم. وقالت:

"من الأفضل أن نرسل بالبطاقات غدا والا سنعود إلى الوطن
قبلها".

"هل هذا مهم؟"
"نعم ويجب ألا ننسى إرسال واحدة إلى ليبي". هل تعتقد أنها
ستهتم؟

"تهتم بماذا؟"
"فيما يتعلق بي. أقصد أنها اعتادت أن تدير بيتك خلال فترة
طويلة".

"لماذا تهتم؟ ألا يحسن أن تنامي ياسيديتي؟"
"لا أستطيع أن الوقت أؤمن من أن نضعه في النوم. ألا تعرف
هذا؟ لقد أنقضى نهار بأكمله ونحو ليلتين وبقي لدينا أربعة
أيام فقط، لا أريدها أن تنقضي سريعا. بل لا أريدها أن
تنقضي أبدا".

وقام بحركة مفاجئة أفرغتها وسند نفسه على كوعه ونظر
إليها وهو يقول:

"عيناك تضيئان في الظلام... لماذا تضحكين؟"
"لم أضحك، لقد اكتشفت أن شيئا سمعته يبدو حقيقيا..."
"أوه، ما هو؟"

"أن الرجال عادة يودون أن يناموا بعد..."
"وأن النساء يردن عادة أن يثرثن..."

٩ - صورة في مجلة

قال جاسون وهو يلتقط محفظة أوراقه الجلدية:
"سأناخر الليلة، فلا تنتظريني".

ورغم قرارها ألا تكون زوجة فضولية أو تهوى
الاستجابات، فإنها لم تستطع أن تخفي ضيقها، وقالت:
"هل ستأخر كثيرا؟"

"مندوب شركة 'أي. أي. كومبونات' سيصل متأخرا هذا
المساء، وستعشى معه في النادي. لكنه سيسافر إلى
بروكسل غدا وعندئذ قد تمدا الأمور لبضعة أيام ياحلوتي
نخرج خلالها ذات ليلة".

لم يحذرها أن الزواج قد ينطوي على هذا النوع من الوحدة،
ولو همس لها أحد بمثل هذا التحذير ليشكلت في الأمر، لأنها
كانت تعتقد أن جوهر الزواج هو الحب والمشاركة والرفقة.
وبعد أن انتهت من افطارها، بدأت تتوتر مرة أخرى لتفكيرها
في الساعات الطويلة التي تقضيها وحيدة قبل عودة جاسون.
وقامت ووضعت الأطباق على العربة المتحركة. وأسرعت

إليها ليبي من المطبخ وهي تقول لها:
"اتركي هذا لي ياسيدة ستيل".

"ليس لدي ما أفعله هذا الصباح. وفي أي حال يتعين علي أن
أعلم أداء الأعمال المنزلية. فأنا لا أتصور أن أكون زوجة لا
فائدة منها".

ابتسمت ليبي ولم تعلق. وبعد قليل سألتها عما تريده في قائمة الطعام. فقالت لها أن جاسون لديه ارتباطات هذه الليلة وانها ستكتفي بما هو موجود، فردت ليبي قائلة:

"اعداد الطعام لشخص واحد لا يفترق عن اعداده لشخصين. فماذا تحبين؟"

"كلا بل يختلف، لان اعداده لشخصين يعني أن جاسون سيأكله معي."

فقالت لها ليبي بلهجة تعاطف معها:

"تزوجت رجلاً جهماً. وطوال السنوات التي عملت فيها معه، لم يكن لديه وقت فراغ يذكر."

"أحياناً أود لو أنه لم يكن بمثل هذه الأهمية. أنا أعرف أنه يتحمل مسؤولية ضخمة، لكنه يرهق نفسه. هل هذا جرس الباب؟"

"سأذهب لأتحمسه."

ومرت لحظات سمعت ميراندا خلالها حديثاً متبادلاً، لكن بعد المطبخ عن الباب الرئيسي للمنزل لم يمكنها من أن تتبين ما يقال. وبعد قليل جاءتها ليبي وهو تقول:

"اتها السيدة لندسترن ياسيدتي."

وجعلها شيء ما في النغمة التي قالت بها ليبي هذه الجملة، تبدو غامضة وتنظر اليها بحدة وتساؤها:

"السيدة... وهل عرفتها من قبل؟"

"لا أستطيع أن أحدد يا سيدتي، أستطيع أن أقول لها أنك على وشك الخروج، اذا كنت مشغولة لدرجة لا يمكنك من التحدث اليها."

"كلاء من الأفضل أن أرى ما تريد، لعلها شخص..."

ولم تنطق بالمباراة التالية المكمل من معارف جاسون إذ بدت ليبي وكأنها تريد التملص من الموضوع، أم أن ميراندا توهمت ذلك؟ لا شك أن ليبي تعرف الزائرة، لكن اذا كانت من معارف جاسون فلماذا لم تقل ليبي هذا؟

وأسرعت ميراندا الى المدخل، وليسبب لا تدريه كان قلبها يخفق بعنف واحساسها يتزايد ضيقاً مما جعلها متوترة. ووقفت لحظة أمام المرأة لتلقي نظرة سريعة على شكلها وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تفتح باب غرفة الجلوس لتري الزائرة. ونهضت هذه برشاقة وأقبلت بسرعة نحو ميراندا، وهي تقول:

"سامحيني لتطفلي عليك في هذه الساعة وبدون سابق انذار، وتلك حقاقة مني. هل أنت زوجة جاسون؟"

"نعم... ياسيدة لندسترن اجلسي لو سمحت."

"شكراً لك... اسمي اليسيا، لكن أصدقائي يدعونني ليسا، كنت أتطلع الى لقائك. لقد كنا مسافرين في الجزر اليونانية عند زواجكنا، ودهشنا بصورة بالغة عندما رجعنا من أسبوعين وسمعنا أن جاسون تزوج. اننا أصدقاء قدامى، وهو وزوجي درساً معاً، لا أعرف اذا كان جاسون حدثك عنا، لكن كان علي أن أجيء وأن أقدم تهانينا..."

كان للزائرة طريقتها في إقامة العلاقات واسقاط حواجز العربة في وقت يسير.

وابتسمت لها ميراندا وهي تقول بصراحة:

"لا أذكر أن جاسون تحدث عنك او عن زوجك، لكن ربما فعل ونسيت هل لديك وقت لتناول بعض القهوة سيدة لندسترن؟"

"أود ذلك فعلاً، لكن أرجو أن تدعيني باسم ليسا لو سمحت كما يفعل الجميع..."

ودهمت ميراندا لتطلب من ليبي اعداد القهوة، وجلست ليسا هادئة استرخاء وبدأت تروي ميزات قضاء العطلات في الجزر اليونانية. وعندما جاءت ليبي تلتمت، ونظرت كلاهما الى الأخرى. ولمحت ميراندا هذه النظرة وأحست برجفة الحيرة. ووهمت أنها ترى نظرة التحدي في عيني ليسا، وعدم الرقيب البارد في عيني ليبي وقالت ليسا:

"أرسل لا تنسي أبداً، فهي تتذكر أنني أحب القهوة بلا حليب..."

وردت ليبي وهي تضحك:

"اني احتفظ بقائمة في المطبخ بما يحب وما يكره ضيوف السيد ستيل فتلك هي الطريقة الوحيدة للتذكر".

ومضت في طريقها وبعد أن انتهت ليسا من قهوتها سألت:

"هل أنتما خاليان في عطلة نهاية الاسبوع؟"

"لست متأكدة، أنا خالية، لكني لا أعرف ما اذا كان جاسون خاليا أم لا".

"سيكون عليه أن يخلي نفسه، فانا أريد أن تشرقانا في عطلة نهاية الاسبوع هذه، لأننا سنقيم احتفالا بزواجكما، فالجميع يتطلعون الى الالتقاء بك".

"هذا كرم منكما، وسأخطرك بظروفنا".

"سأترك لك رقم التليفون، والآن أريد وعدا بأنك ستأتين، قول لي لجاسون أن عليه أن يبقى خلال عطلة نهاية الاسبوع هذه خاليا من الارتباطات والعمل - ياللسماوات علي أن أسرع فقد تأخرت".

وأخذت ميراندا صينية القهوة وذهبت الى المطبخ. كانت ليبي قد ذهبت الى المتجر. وقررت ميراندا أن تخرج بنفسها لشراء بعض الحاجيات، وتركت مذكرة بذلك لليبي وأفهمتها ألا تعدلها غداء لأنها ستأكل أي شيء في الخارج.

ومضت تتفرج على المحلات واشترت بعض اشياء لجاسون وعددا من الاسطوانات. وانقضى اليوم بدون أن تشعر به، وعادت الى المنزل في السادسة. تسيت زائرة الصباح وأخبرتها ليبي عن أنواع الاطعمة المعدة والتي يمكنها تناولها متى أرادت. وبعد انصراف ليبي جلست ميراندا تستمع الى الاسطوانات، وأحست بأنها لم تعد وحيدة فالموسيقى معها. وبعد ذلك غسلت شعرها واعتنت بأظفارها، ثم جلست تنتظر جاسون. وفي الساعة العاشرة سمعت صوت باب الكاراج يغلق فأسرعت الى المدخل لملاقاته وهي ترتدي ثوبا طويلا من الشيفون الأزرق يتطاير حولها، وألقت بنفسها بيس.

ذراعيه فسألتها:

"هل افتقدتني؟"

"أنا مسرورة لأنك لم تتأخر أكثر من هذا".

"شعر ضيفنا بالارهاق نتيجة السفر، ومن ثم اقتصرنا الأمسية على المناقشات الأساسية. هل أمضيت يوما طيبا؟"

"رائع، لقد ذهبت للتسوق واشتريت لك هديتين".

وأسرعت الى غرفة الجلوس وأعطتهما له وهما يمضيان الى غرفة نومها، وهو يقول لها:

"انه ليس عيد ميلادي".

"كلا... هل تريد شيئا تأكله؟"

"كلا شكرا".

وجلس ليفتح الهديتين وأخرج أدوات الزينة التي أحضرتها وهو يقول لها:

"شكرا لك، أين المصمان؟"

"أي مصمان؟"

المصمت تلك الانواع هي التي تضمن أن الرجل لن تستطيع النساء مقاومته؟ هل سأحدث حالة من الاضطراب لو ركبت المئرو بعد استخدامها؟

"أنا نادر ما تستخدم المئرو".

"يجب أن أجربها حالا، في هذه اللحظة".

"أهي هذه الحالة لن أنال منك شيئا".

ونالاهرت بأنها غير مبالية ووقفت وهي تعرف أنه سيقبض على معصمها ويسحبها اليه. كانت تلك هي قواعد اللعبة بينهما وبالفعل حدث هذا وسقطت بين ذراعيه وهو يغمرهم:

أروها قلت أنه ليس هناك ما يمكن أن تأخذه مني، لكني لم أفل أنة ليس هناك ما تستطيعين أن تمنحيه لي.

"أروها... ربما حصلت على الانطباع الخاطيء".

"أنا... شكلك... وأحرصني على ألا يتكرر ذلك".

وألمست بأن عصاة شعرها المخملية تنزلق من على رأسها

تحت سيطرة يديه . وجاست أصابعه في شعرها الحريري .
وبعد فترة طويلة كانت مستلقية في سرور وهي نصف
مستيقظة . ودقت ساعة الردهة معلنة منتصف الليل فسألته :
"جاسون ، هل مازلت مستيقظا ؟"
"لم أكن مستيقظا ، لكنني استيقظت الآن ."
"لقد تذكرت"

فالتفت إليها وهو يقول :
"أود لو تفقدين ذاكرتك ليلا . هل الأمر هام ؟"
"كلا ، جاءت امرأة هذا الصباح ، امرأة أنت تعرفها يا حبيبي ،
اسمها السيدة لندسترن ."
فهتف حائقا :

"ماذا كانت تريد ؟"
"جاءت تبغنا أمنياتنا لنا بالسعادة . كانت هي وزوجها في
أجازة ودعنا لنمضي عطلة نهاية الاسبوع معهما . وقلت :
ما بالك يا جاسون ؟"
"وأنت لم تقبلي ؟ أليس كذلك ؟"
"حسنا نعم على الأقل قلت اننا سنذهب اذا كنت
خاليا ."

"ليس لدينا وقت . ومستقبلا اسأليني قبل قبول دعوات أناس
لم تقابلهم من قبل ."
"لكنك تعرفهما ، أليس كذلك ؟ كنت زميل زوجه في الدراسة
أو شيئا من هذا القبيل ، ولماذا أنت غاضب ؟"
"لست غاضبا ."

"أنا آسفة ، ظننتها"
"من أجل السماء ، دعينا ننام ."
وأولاهما ظهره واضعا وسادة فوق رأسه .
وفي الصباح لم تكن استجاباته على الافطار ودية ،
واضطرت للكف عن التظاهر بأن شيئا لم يحدث ، وغرقت في
صمت تعس . وأخيرا نظر إليها وهو يقول :

"سألني هذه الدعوة فأنسها ."
"كما تريد ، فلا يهمني أن نذهب أم لا ."
ولأول مرة لاحظ أن طعامها كما هو لم يمس فقال بحدة :
"لم لم تأكلي شيئا ."
"لست جائعة ."
"بالمناسبة هل حجزت موعدا مع طبيب الأسنان ؟"

"لا ."
"سأرتب لك أن تري طبيبي ، اليوم اذا كان ممكنا ، انه
رائع ."
"نعم ، لكن ليس اليوم ، فساذهب الى مصفف الشعر ."
"عدا اذن ."

"سأقابل سوزان لتناول طعام الغداء ، فلم أرها منذ وقت
طويل ."

"ان هذا سيجرنا الى عطلة نهاية الاسبوع ، كلا يا ميراندا ، لن
نمضي أسبوعا آخر يقض فيه الم الأسنان . ساجعنا ليلا .
فليس هناك معنى لأن نعيش بالممكن علاه ، سأتصل بك
من المكتب في العاشرة لأخبرك بالموعد ، وعليك أن ترتبي
وواعيدك الأخرى في ضوء هذا ."

وبعد ذهابه أخذت تفكر في مبعث غضبه ، ولما تعبت
ذاعبها الأمل في أن يكون عاد لطبيعته عند رجوعه مساء .
وانصت الانسة مايو تقول لها أن موعدا مع طبيب الأسنان
يحدد له اليوم التالي الساعة الثالثة والرابع بعد الظهر . وفي
المساء جاء جاسون بحقيبة مليئة بأوراق العمل اختفى بها في
المكتب عقب العشاء مباشرة ، ولحق بها في التاسعة ، ولم
يأمرها بشيء عن الدعوة ولم تخاطر بسؤاله . ماذا يسوؤه فيما
وعداق يأل لندسترن . وتذكرت الرجفة التي انتابتها وهي
ذاتية للقاء ليسا والنظرات المتبادلة بين هذه وبين ليبي .

وفي اليوم التالي ذهبت للقاء سوزان في كافيتريا . كانت
أول مرة تنفرد فيها بسوزان منذ زواجها ولديها أشياء

كثيرة تود محادثتها عنها وقالت لها سوزان:

"الجميع يسألون عنك خاصة رينا هارفي".

"من تلسعه بلسانها اللاذع حالياً؟"

ولم تقل لها سوزان أنها هي، أي ميراندا، التي تشكل موضوع الحديث والرهان حول مدى دوام زواجها بجاسون. وأن رينا تثقّر لها سنتين على الأكثر. لكن سوزان حكّت لميراندا عن تدخلات وأقاويل رينا عن علاقة سوزان وراي وبدت سوزان مضطربة لا يقر لها قرار ثم قالت:

"لا أدري كيف أقول هذا، لكن يجب أن أقول، لم يكن من الواجب أن أكرر تلك الأشياء التي قلتها لك قبل زواجك. لكنني أعتقد أن علي أن أفعل، أن أحذرك، لأنه بعدئذ..."

وشحب لون ميراندا وهي تقول:

"ماذا تعنين بكلمة بعدئذ؟"

"حسناً، كنت ستصبحين تعسة لأقصى حد، وسيكون هذا خطأي لأنني أعتقد أنه كان حقيقياً، أنت تعرفين أن رينا صديقة لموني تريغرز وهذا صديق لا مبرور وهو بدوره صديق لفريرز".

وتدخلت ميراندا قائلة:

"والأخير كان صديقاً لجاسون قبل أن يتورط كلاهما مع كاترينا كاي. أعرف هذا. لكن كان من المتفق أن ينقل فريرز إلى روما قبل أن يحدث هذا. وسيعود الشهر المقبل وسندعوه للعشاء ذات ليلة".

"أذن فجاسون يحكي لك عن أشياء كثيرة".

"معظم الأشياء".

حقاً أنه يحدثها عن العمل وعن زملائه، لكنه لا يقول لها عن علاقاته الماضية. وقد قال لها ذات مرة أنها لا بد وقد سمعت عن حكايته مع كاترينا، وأضاف أن الأقاويل عادة لا تحوي واحداً في المائة من الحقيقة. ونظرت ميراندا إلى صديقتها التي بدت تعسة وقالت:

"جاسون لا يسمح للمسائل الشخصية أن تؤثر على العمل، لقد شعر بالضيق من مايك في ذلك الوقت، لكن لم يكن له دخل في نقله إلى إيطاليا؟ ماذا تحاولين أن تخبريني به ياسوزان؟"

"هذا فقط وأنا أسفة، أنا واثقة أنها اشاعات، تروّجها رينا". "لاني اتساءل هل تعرف رينا معنى كلمة ثقة لقد اخترت أن أشق فيه، أنه لم يكن ليتخلى عن حريته إذا ما كان يريد أن يمضي من علاقة إلى أخرى".

"أوه، أوافقك تماماً. أنا أعرف أن رينا حاقدة لأنها لم تكن، أول من يعرف. وقلت لها هذا، فقالت أنه لا دخان بدون نار مع رجل مثل جاسون".

"حقاً؟"

"نعم، لكنني أصرت على أن تخبرني لأنني شعرت أنه أن الأوان لمعرفة ما إذا كانت هناك حقائق فعلية وراء تلك العمزات التي تلقي بها. لقد بدأ الأمر في الليلة التي ذهبت فيها رينا إلى المسرح مع صديق لها. وكان هذا هو الأسبوع الذي عاد فيه جاسون من ستوكهولم. على أية حال ففي الاستراحة ذهبت رينا للحصول على شراب ورات..."

فهمت ميراندا بحدة مقاطعة:

"كلا..."

"ما بالك؟"

"لا شيء، لكنني لا ريد سماع المزيد من حكايات رينا ولا أهتم بمن رأت مع زوجي، لا أريد مناقشة هذا. انتهينا".

"نعم أعرف هذا، لكنني أعتقد أنك يجب أن تعرفي، لتستقيم الأمور ولهذا فأنا..."

"انسي هناك ما يتعين تقويمه. إن ما فعله جاسون قبل زواجي لا يعني من فضلك انسي هذا".

"أنا أسفة".

بعد فترة صمت سألت ميراندا سوزان:

"لستأخذين أجازتك؟"

خلال اسبوعين، هل صفحت عني؟

من أجل ماذا؟

أنت تعرفين.

بالطبع صفحت عنك والا لما كنت أتغدى معك اليوم، لقد فعلت ما تصورته صواباً. والآن لننس هذا.

وبعد أن فرغا من تناول القهوة هرعت سوزان لعملها وذهبت ميراندا الى طبيب الاسنان. وصلت مبكرة فجلست في غرفة الانتظار، وسرعان ما أخذت تفكر فيما كانت سوزان تود أن تقوله. ومدت يدها وتناولت مجلة ثم ألقته ثانية، وبعد ذلك أخذتها ثانية، وأخذت تتصفحها حتى وصلت الى باب أخبار المجتمع والاشاعات واسترعت انتباهها صورة اسم معين. كانت صورة على نصف صفحة لكاترينا كاي وتأملتها وهي لا تشعر بالغيرة. ثم بدأت تقرأ كلام الصورة فأحست بالصدمة فقد جاء فيه:

فليذهب القديم الى حيث شاء، فقد أقام فارسنا علاقة حب جديدة تحكي قصته الصورة المنشورة الى اليسار، وفيها فارسنا يبدو غير مهتم بما مضى، ولماذا يهتم، فقد عادت الى ذراعيه السيدة اليسا لاندسترن انه فتى شركة كارونا ستيل.

اسقطت ميراندا المجلة... اليسا بدأت الصورة تتكامل، تلك هي الفتاة التي اعتادا الحديث عنها. انها مصدر الاشاعات التي ترونها رينا هارفي... انها هي المرأة المتزوجة.

واجتاحها أمواج الرعب، رغم جهادها لاستعادة رباطة جاشها والسيطرة على شكوكها. لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً. انها مبالغة انها مجلة قديمة، والتاريخ يؤكد هذا وبحثت عن التاريخ فوجدت أنه عشرين نيسان (ابريل). انها ليست قديمة. بل صدرت بعد أسبوع من زواجها. لكن متى أخذت الصورة؟ ألا يستغرق طبع المجلة أسابيع، لكن ليس،

كل المجلات كذلك، لا شك أنها التقطت قبل تلك الليلة التي قدم فيها اقتراحه بالزواج منها. لكن اقتراحه كان مفاجئاً وجاء تحت تأثير مفاجأة السيدة سوندرز لهما. هل ما يزال يحب ليسا؟ هل هذا تفسير تصرفه ازاء دعوتها هذا الاسبوع؟ ونادت عليها الممرضة، ولما رأت اضطرابها عزته الى خوفها من الدخول لطبيب الاسنان، فحاولت طمأننتها.

وبعد قليل خرجت بحشو جديد لسنها قضى على الآلام، لكنها كانت قد أصيبت بالأم في مكان آخر لا يفلح شيء في التخفيف منه. وكانت غرفة الانتظار خالية، فنظرت حولها لتطمئن أن أحدا لا يراها وسرقت المجلة وخرجت لا تلوي على شيء.*

١٠ - الرحلتان

كان القلاف الأسود الفضي اللامع تلك المجلة مبعث أرق ميراندا خلال الأسابيع التي تلت ذلك، وأصبحت كل تفاصيل الصورة المنشورة في الصفحة السابعة والثلاثين محفورة في ذهنها، وكانت طوال طريق العودة إلى البيت في ذلك المساء، مصممة أن تسأل جاسون متى قابل ليسا آخر مرة، لكن عندما حان الوقت وسألها عن نتيجة فحص أسنانها لم تجد كلاما تصوغ به سؤالها. ولا شك أنه كان من السهل عليها أن تقول ببساطة:

"كانت هناك مجلة في حجرة الانتظار... انظر."

وتربها له وتنتظر تعليقه. لكن ذلك كان شأنه شأن كثير من الأمور النظرية التي يصعب تنفيذها عمليا.

أخفت المجلة في درج طاولة الزينة، وحاولت أن تنسى وجودها وأكد لها احساسها أنه ليس لديها حبر أن تشك في اخلاص جاسون، وأنها ستكون حمقاء لو سمحت للشكوك أن تسمم حياتها. وزواجها. لكن رغم هذه المحاولات أحست أن شيئا بدأ يذبل في العلاقة الجديدة الهشة بينها وبين جاسون. وكثيرا ما كانت تتذكر تلك الأمسية السعيدة التي انتهت نهاية غير سعيدة عندها تذكرت زيارة ليسا، ورغم أن ليسا لم تتصل وهي لم تذكرها، أحست أن شبحها شيء حلموس يجثم في طريقها. وأيقنت أن جاسون لا شك لاحظ تحفظها

أزاعه لكنه لم يعلق أبداً على ذلك.
وفي صباح أحد أيام شهر حزيران يونيو، نظر إليها من فوق رسالة أخرجها من بريد الصباح الشخصي، وقال لها فجأة:
"أنا نحتاج إلى راحة قصيرة، وعلينا أن نأخذها قبل هذا."
وناولها الرسالة وتأملتها فوجدت أنها بطاقة فضية، وليس رسالة وقرأت ما فيها ثم قالت مندهشة:
"عيد زواجهما الياقوتي، أي الأربعين، أليس كذلك؟"
فأوما قائلاً:

"إنه رئيسنا شارل. عاش هو وزوجته طوال أربعين عاماً في جنة زوجية، وأعترف بأنهما يستحقان احتفالاً."
وتظاهرت بأنها لم تلاحظ نغمة السخرية في صوته. وأضاف:
"أنا مدعوان في العاشر من الشهر المقبل. أمل ألا تكوني مشغولة."

"لن أتشغل عن هذه المناسبة فأنا لا أجرو على التخلف عنها، واعتقد أنهم يخططون لحفل رائع."

"نعم... واعتقد أننا يجب أن نغتنم فترة قصيرة للراحة الآن، لأن ذلك لن يتاح فيما بعد."

"نعم أنت محقة في ذلك أن تأخذ فترة راحة هذا العام."

قلت لي أنك لم تأخذ إجازة منذ عامين."

"أنا أفكر فيك أساساً أين تودين الذهاب؟"

"أي مكان، وأفضل مكاناً هادئاً."

"وأنا أيضاً، هل نذهب خارج لندن؟"

"إذا أردت. أين تريد أن تذهب؟ فهي أجازتك مثلما هي أجازتي."

"حسناً، اعتقد أننا يمكن أن نذهب إلى هايلاندز. هناك مسكن جميل أذهب إليه أحياناً، في إحدى القرى. ويطل على غابة. وهناك نهر قريب، صيد السمك فيه متعة. ولا توجد هناك تليفونات، وعلى الإنسان أن يسير نصف ميل لأجراء مخابرة، أو يقود السيارة عدة أميال إلى القرية. أن

المشاهد هناك ليست من هذا العالم، وعندما أقول أنه هادىء
فأنا أعني هذا تماماً، لذا فقد يصيبك الملل بعد يومين*
*من وصفك له يبدو رائعاً، وقد أردت دائماً الذهاب الى
الهالاندز فلنذهب اذا استطعت ترتيب هذا*
أستطيع أن أنظم هذا فوراً
هل أخطر ليبي لترتب أمورها
*نعم، وبالمناسبة علينا أن نشترى الهدية التي سنقدمها
للسير شارل في أحد أيام هذا الأسبوع؟ هل لديك فكرة؟*
لم يكن لديها أفكار جاهزة* وبعد بضعة أيام ذهبا لشراء
هدية تليق بهذه المناسبة، وبعد طول بحث اختاروا كاساً
فنيئسية قديمة ونادرة من كريستال الياقوت، تكلف مبلغاً
باهظاً حتى أن ميراندا رفضت حملها، لكن جاسون فعل ذلك
بلا اهتمام أو عناية مما أزعجها، وقال انه سيطلب من الأنسة
مايو أن تذهب بها شخصياً الى بيت الرئيس* ومع اقتراب
الرحلة شعرت بأنها أسعد حالا مما كانت منذ عدة أسابيع*
وكان الجو دافئاً ومبشراً بصحوه والتنبيؤات تبشر بموجة حارة*
كانت الشمس قد غرقت عندما وصلا الى المسكن* وأصبح
الصمت مطبقاً بعد توقف محرك السيارة، وسمعت ميراندا
صوت مياه غدير قريب* وكان عليهما حمل المؤن وتفرغ
الاكياس وتنفذ المسكن واعداد الطعام واضاءة المصابيح*
وقالت له:

لم تقل لي أنه ليست بالمسكن كهرباء
كلا، لكنني خذرتك من أنك قد تملين
وهزت رأسها وهي ترقبه يتفقد الكوخ وسألته:

كنت راغباً للغاية في أن تجيء الى هنا
وعندما أوماً موافقاً، أضافت:

*يمكنك أن تعلمني صيد السمك، لقد أحببت هذه الهواية
دائماً*
كانت تريد أن تصدق أنها ستجد خلال هذه الأيام

الهادئة رفقة جديدة مع جاسون* وفي الايام الثلاث الأولى لم
يرى مخلوقاً آخر، ولم تحس أبداً بالملل ووجدت الكثير
تستكشفه وتفعله فكانت الايام تمضي سريعاً* وكان الغدير من
الأماكن المفضلة لديها، ويقع على مسافة قصيرة من الكوخ*
ويبدو كأنه كريستال دبت فيه الحياة* كان منظر الغابة أول
ما تجتمع به عينيها عند استيقاظها في الصباح* وكان هناك
شاطيء رملي صغير يسبحان في مياهه الباردة كما كانا
يستمتعان بالتمدد في الشمس ساعات طويلة*
ونسيت شكوكها تقريباً، ونجحت في محو ليسا من
ذاكرتها* وعندما انتهى الاسبوع الاول أسفت لانه بقي لهما
من الاجازة ثلاثة أيام فحسب، فحرصا على الاستمتاع بها
لأقصى حد* وجاء اليوم الأخير حاراً للغاية فاتفقا على أن
يقضياه في استرخاء بجانب البحيرة، وفعلوا ذلك* وعندما
رفعت بصرها اليه على حين غرة وجدته يتفرد فيها ملياً
فسألته:

ما بالك؟
لا شيء، لكنك تبدين منطوية في الآونة الأخيرة
كلا، لست كذلك
*لست أقصد هذا، وإنما أقصد قبل أن تأتي الى هنا، كأنما
هناك شيء يقلقك*
لا أظن
وهزله رأسه كمن لا يوافق وفي الوقت نفسه لا يود المضي
في الجدل* ونظر للبحيرة وهو يقول:

أعتقد أنك لست
لست ماذا
لست تعانين أعراض الزوجة
أوه، كلا لست أعاني من هذا لن يكون لي طفل اذا كان ذلك
هو ما يقلقك*
*ليس ذلك ما يقلقني، إنما أحاول اكتشاف ما اذا كان

هناك شيء يقلقك؟

شعرت بانقباض، وبخذر في أطرافها السفلى، رغم الشمس الحارة. تلك هي الفرصة المثلى لفتح الموضوع. ولا خوف من المقاطعة، لا هاتف ولا استدعاء لدوائر الأعمال، وهو يوليها اهتمامه كاملاً، تلك هي اللحظة التي يتعين عليها فيها أن تجلس وتقول: "نعم، أنا قلقة، مذعورة، لأنك ربما مازلت تحب فتاة تسمى ليساء، فكل الدلائل تشير الى أنه كانت لك علاقة غرامية بها حتى عشية زواجنا، وربما حتى الآن، اني أعرف كل شيء، وانت لم تقل لي أبداً حتى الآن اني أهم لك من أي امرأة أخرى في العالم، وأن دافعك الوحيد للزواج مني هو حبك لي وليس لأنك كنت تريدني، لأن هناك فارقاً بين الأمرين لديك". لكن لم يخرج من شفثيها أي من هذه الأفكار التي ظلت تعذيبها والواقع أنها لم تجرب. فهي ما زالت لا تعرف الكثير عن الرجل الذي أصبح زوجها بدرجة تمكنها من التنبؤ بالنتيجة وقال لها فجأة:

"أعتقد أن هناك أمراً علينا أن نناقشه جدية ذات يوم. هل تريدین أسرة؟ أحياناً أستطيع قراءة كل ما يجول في خاطرك. هل انت من النوع المحب للأمومة؟ أذكر أنك قلت مرة بصراحة أنك تريدین زواجاً وبيتاً وأطفالاً".

"نعم أذكر هذا لكن هل تريد أنت أطفالاً؟"

"نعم أود طفلاً، ثم طفلة".

"أذن أعتقد أنه علي أن..."

"ليس الآن، فانا أريد أن أعود على حالة الزواج قبل أن أنتقل الى حالة الأبوة".

كانت هناك أكداًس من الأشياء تنتظر عودتهما، خاصة البريد، والبطاقات التي وردت من أماكن مختلفة، وكان من بين هذه واحد لميراندا فأعطاد لها وهو يقول:

"أعتقد أنه ليس فاتورة؟"

"كلا، انه من السيدة غوردون صديقة عمتي. وسأقوم

ببعض الترتيبات الخاصة بأخيائي".

"أي أشياء؟"

"بعض الأثاث".

"هل تريدین احضارها هنا؟"

"نعم، لأن السيدة غوردون تود احضار اختها لتعيش معها وتحتاج الى الغرفة".

"حسناً، ما هي المشكلة؟ لدينا الكثير من الغرف الإضافية في الطابق العلوي يمكن أن يوضع فيها كنز طفولتك، اذا لم تكوني تريدين التخلي عنه. وربما نستطيع أن نجد مكاناً للأشياء الأخرى".

"الحقيقة كنت أتساءل عن هذا، ولا أرى أن حاجيات العمة هيستر تناسب هذا المكان، انها طراز يناسب الأكواخ. والسيدة غوردون تقول أن موظف مكتب البريد مهتم بها ويريد شرائها".

"كلا، لا تبيعي شيئاً حتى ألقي نظرة عليه. من الأفضل أن نذهب الى هناك في أول فرصة، فالبعض من هذه الأشياء قد يكون قيماً لأقصى حد".

وبعد يومين ذهبا الى ايفشام وتغديا هناك، ثم ذهبا الى بيت السيدة غوردون وبعد انتهاء عمليات الترحيب، فحصى جاسون الاغراض وقال أنه سيرسل سيارة لتحمل القطع الضخمة منها أما الأشياء الصغيرة فسيأخذانها معهما في السيارة.

سعدت ميراندا كثيراً بزيارة مسقط رأسها، وزادها سروراً روح جاسون المجاملة ومداعباته. لكن ذلك لم يدم طويلاً، ففي المساء أبلغها أنه سيسافر في الأسبوع التالي، فقالت وهي تحس بالضيق:

"أوه، كلا، هل ستسافر مرة أخرى؟"

"نعم. ولا يمكن القول اني سميت الى هذا، فربما ستكون ناراً اذا استمر هذا المناخ".

كم ستبقى هناك؟

يومين في روما ومثلهما في بون.

وساد الصمت لوهلة ثم تحرك الى جانبها ووضع يده على كتفها وهو يقول:

لماذا لا تذهبين الى الكوخ لمدة أسبوع؟ اخرجي من لندن بحثا عن التغيير.

لقد عدنا توا من هناك.

ومع ذلك يبدو أننا رجعنا منذ سنين.

كان على حق في ذلك، فتلک الأيام العشرة لا تعوض، لكنها غمغت:

هل أذهب لوخدي؟

خذي ليبي سترعك، وان استطعت أنا فسألحق بكما فور عودتي.

وبعد لحظة أضاف:

فكرت ان حاجيات عمك ستكون مثالية هناك، سأتمصل بالشركة الشاحنة صباحاً وأعطي التعليمات لنقلها الى هناك لكن لا بد أن تكوني أنت قد ذهبت الى الكوخ، ومن ثم تستطيعين أنت وليبي تسلياً أنفسكما بتغيير الأوضاع هناك.

وغمغت موافقة ثم قالت:

لنفرض أنني أخذت ليبي، ثم عدت أنت ميكرأ عما تتوقع، فمن سيهتم بك؟

أنا؟ أنا لست ذلك العاجز يا حبيبتي.

وهكذا تم ترتيب الأمر، وسافر جاسون يوم الاثنين، وكان قد اقترح أن، يوصلهما بنفسه في اليوم السابق، لكن ميراندا رفضت. فقد أرادت ان تراه حتى آخر لحظة، ثم تسافر بالقطار بعد الفداء. ووافق على مضمض، فشجعها هذا أن تقترح توصيله الى المطار، فرفض بحزم، فقالت:

*أنا أعرف السبب فأنت لا تريد أن يراك أحد وأنت تسافر

ولا أن يستقبلك أحد عند العودة. لكن أرجو أن تسمع لي بذلك مرة واحدة فحسب، أعطني فرصة وداع زوجي متمنية له السلامة مثلما تفعل الزوجات. وبعد ذلك سأقنع بمشاهدتك وأنت راحل من نافذة البيت وبانتظار تليفون منك بأنك في طريقك الى المنزل.*

حسناً لكن هذا لا لزوم له في رأيي. كل هذا من أجل قبلة عاطفية وأمم الأرض كلها ترقبك من حوالك. ولو كنت تعرفين قيادة السيارة لهان الأمر، لكنه يتعين عليك البحث عن وسيلة للعودة. هل يستحق الأمر كل هذا؟

اعتقد هذا. أرجوك.

حسناً، لكل شيخ طريقته.

وبالفعل حصلت على القبلة العاطفية. وقالت تلك الكلمات التي تقولها الزوجات والتي كانت تتطلع الى أن تقولها، وبعد ذلك بقليل شاهدت الطائرة تقلع. ولكن عندئذ بدأت الشكوك والمخاوف تعتصر قلبها، لأنها رأت امرأتين عن بعد احدهما عجوز والأخرى شابة تتحدثان معاً، وعندما نودي على رحلة روما قبلت الواحدة منهما الأخرى وسارت الشابة الى الطائرة: *لقد كانت ليسا.*

١١ - همس في الظلال

حاولت ميراندا أن تثقن نفسها بأنها أخطأت . قابلت ليسا مرة واحدة فقط، والمرأة التي شاهدها في المطار رأيتها من الجانب ثم من الخلف في تلك اللحظات التي تسبق الدعوة لركوب الطائرة؛ وربما كان شخصا يشبهها . لكنها كانت تعرف أنها لم تخطئ . وحين رأت رفيقة ليسا عندما كانت تغادر المطار، أخست بعدم جدوى محاولتها خداع النفس فقد أدركت من الشبه الواضح أنها أم ليسا وكانت ليسا أيضا على الطائرة نفسها، وربما في المقعد نفسه مع جاسون، وربما تتحدث إليه الآن وتشاركه الشراب، وترتب للالتقاء به في روما، ان لم تكن الأمور قد رتب من قبل .

وحاولت التخلص من الشكوك . فربما لا تكون ليسا ذاهبة الى روما، بل الى باريس أو ...

كانت ما تزال قلقة مشتتة البال خلال رحلة القطار الى الكوخ في ذلك المساء، فلم تستطع أن تنسى الفتاة الرشيدة الهيفاء التي كانت تسير أمام جاسون، وكهرت نفسها لأنها لا تستطيع التغلب على مخاوفها . وتشبثت بأمل أن يحدثها تلقائياً هذه الليلة وأن يبدد صوته مخاوفها . لكن ذلك لم يحدث . وبدأت الأيام التالية لا نهاية لها . وحاولت أن تبدو طبيعية بسبب وجود ليبي، وتضمنت لو كانت قد أصرت على بقاء ليبي في بايرون سكوير . فلو كانت لوحدها لكفت عن

التظاهر . كما أن ذلك كان سيتيح لها فرصة تنفيذ فكرة وانتهت في رحلة العودة بالقطار، لكن لا يمكن تنفيذها وليبي موجودة .

ويوم الأربعاء أعلنت ليبي أنها ستذهب الى القرية لشراء بعض الحاجيات، فكان لدى ميراندا نصف ساعة حرة . وبعد أن أطمأنت الى ذهاب ليبي أخذت بطاقة ليسا من حقيبتها وجلست الى التليفون . ولبرهة نظرت الى الاسم والعنوان المطبوعين، وإلى ملحوظة صغيرة مكتوبة بخط يد ليسا تشمل رقماً ثانياً وأمامه عبارة رقم منزل أمي، وتذكرت قول ليسا أنه يمكن الاتصال بها هناك عندما تكون في المدينة، وهو ما يحدث عادة .

وطلبت الرقم وفوجئت بالتمرة ترد فوراً وصوت رجل يقول: "نعم، هنا لندسترن ."

"هل أستطيع أن أتحدث الى السيدة لندسترن لو سمحت؟"
"أخشى أنه لا يمكن، فهي في روما . هل من خدمة أؤديها؟"
"كلا، ان الأمر ليس هاماً على الإطلاق . انا آسفة لأزعاجك باسيد لندسترن ."

"كلا على الإطلاق . لقد هزعت ليسا الى هناك لأن أختها تتوقع أول طفل لها، أخشى أنني لم أتعرف على صوتك، فهل كان في مقدوري ذلك؟"
"كلا، فأننا لم نلتق ."

وبلغت ميراندا ريقها وودت لو أنها لم تبدأ كل هذا . ولم يكن هناك مناص من تقديم نفسها وفعلت ذلك وساد صمت المملة، ثم أفلتت منه صيحة أندماش، وقام بالحديث التقليدي ثم أضاف:

"أنا آسفة أنك لن تستطيعي الاتصال بها هذا الأسبوع . لكننا لنطالع لرؤية زوجة جاسون ."

الآن تأكدت مخاوفها الآن . ليسا في روما، وجاسون في روما . المستحيل ألا يعرف أحدهما أن الآخر هناك . وحتى لو

لم يعودا صديقين، وثن يهدأ بال ميراندا، او يستقر زواجهما،
قبل أن يتقرر مصير هذه العلاقة. وعاشت هذه الايام في كرب
وزاد من قلقها أن جاسون لم يتصل بها تليفونيا. وحاولت أن
تشغل نفسها بشؤون البيت الريفي. وفي يوم الجمعة فوجئت
بجاسون يصل بدون اخطار في الساعة العاشرة مساء. وكانت
تحبته لها جافة ولم يحاول أن يقبلها عندما هرعت الى الباب
لكنها تبينت أنه مرهق الى أقصى حد، ويكاد يسقط اعياء
فهتفت به:

"ماذا بك يا جاسون؟"

"لا شيء اني على ما يرام، مجرد ارهاق."

"لا تبدو على ما يرام."

"لا تحدثني جلبه، سأكون على ما يرام."

وعندما سألته ليبي عما يود أن يأكله، قال لها انه شعبان

ولا يريد شيئاً. وتدخلت ميراندا تسأله:

"هل أكلت شيئاً قبل هبوط الطائرة؟"

"نادراً ما أكلت خلال اليومين الماضيين، لاجتاسي بالأم في

معدتي، ربما أكلت شيئاً سبب هذا الألم. وقام واتجه الى

السلم دون أن ينتظر تجاه المرأتين المشفقتين عليه. ونظرت

ميراندا الى ليبي التي قالت:

"ليس من المفيد أن تفرضي طعاماً عليه اذا كان يشكو الاما

في معدته لكنك عليك ياسيدة ستيل أن تقنعيه بتناول

كمية من السوائل، هل أخلط له عصير الفواكه مع ماء

الصودا؟"

"نعم... كلا. سأقوم بهذا أنا بنفسى."

وبالفعل ملأت ابريقاً من عصير البرتقال وماء الصودا

ووضعت على صينية مع كوب. وأسرت الى أعلى حيث وجدت

غرفة النوم الرئيسية خالية، كانت هناك أربع غرف نوم في

البيت، اخداها واسعة يدخلها الهواء واثنان أصغر والاربع

تكاد تكون صندوقاً. وهناك وجدته، واشياؤه ملقاة

كيفية اتفق على السرير وعلى الأرض وجدت فيه فقال لها:

"لا تندبشي هكذا، فسأوفر عليك نوماً مضطرباً."

وأخذ منها قدحا من الشراب وتناول قرصين من زجاجة

وابتعلهما فسألته:

"ما هذا؟"

"مضاد حيوي."

"لا يمكن أن تنام هنا. ولابد أن يراك الطبيب اذا كنت..."

ومدت يدها الى جبهته فوجدته ساخناً فهتفت:

"انك تعاني من الحمى... لابد من استدعاء الطبيب."

"استدعيت طبيباً في روما، ولم أذهب الى بون، فلا تحدثني

جلبه لقد مرت المرحلة السيئة."

"ماذا تتوقع مني؟ ألا أهتم؟ لا يمكن أن تبقى هنا. كن

مبقولا أرجوك الغرفة ساخنة وسيئة التهوية وغير مريحة."

"هل تحاولين اغرائي، ليس الليلة يا حبيبتي."

"لم أفكر في هذا."

وبدأت في جمع الأشياء المبعثرة وسمعتة يقول:

"لا تقلقي سوف أعيش. اتركيني فحسب واذهبي لتنامي."

"كلا، سأبقى هنا، لا تأكد انك على ما يرام."

"لست هناك ضرورة لذلك، لكن افعلي أي شيء بشرط أن

الهداي."

والنقطت الصينية ونزلت بها لتحكي همومها لليبي التي

قالت لها:

"أرايت مريضاً مرة واحدة فقط طوال الأعوام التي عملت فيها

الطبيب. كانت عملية جراحية في أربطة ركبته. لا تقلقي ربما

كان مجرد اضطراب في المعدة ناجم عن كل هذه الأطعمة

الغريبة خلال حفلات العشاء التي تقام لرجال الاعمال."

وفي صباح اليوم التالي استيقظ وأخذ حماماً وحلق كالاعتاد

لقد شخص تناول الطعام طوال اليوم واعترف بأنه يعاني

من حمى. وظل كذلك حتى يوم الاحد حيث بدا أحسن

تؤكد رجوعه لحالته الطبيعية وأجرى مكالمة مطولة مع سير شارل ثم رجع الى غرفة الجلوس حيث غاص في مقعد وهو يقول:

"السير شارل يرسل لك تحياته ويذكرنا بالحفل الذي سيقم يوم السبت المقبل".

وعادا الى بايرن سكوير في صباح اليوم التالي، وذهب جاسون فوراً الى مكتبه. وبدا أنه شفي تماماً. وفي مساء ذلك اليوم ذكرها بارتباطهما في عطلة نهاية الاسبوع وسألها هل قررت هاستليس. كان قلقها على مرضه قد أنساها هذا الموضوع لكنها الآن تذكرت كل شيء بتعقيداته، لأنها أرادت من قبل لمائة مرة او يزيد ان تتحدث معه عن تلك الفتاة التي كان لها دور هام في حياته وعندئذ لابد أنه يضطر الى التعليق على هذا او على الأقل يطرح الموضوع، لكن الشجاعة خانتها.

كان كل يوم يمر يزيد ثورتاً، لتوقعها ان تتصل ليسا تليفونيا لأنها لا شك عرفت أن جاسون مرض في روما. ولم تجيء أي مكالمات تليفونية وانقضى يوم السبت بأكمله في هدوء. وفي المساء ارتدت ثوبا أبيض جديداً من الجرسية الحريري الأبيض رائع التفصيل أضاف اليها مع تسريحة شعرها جمالا أخاذاً. ولمحت جاسون في المرأة وهي تضيف اللمسات الأخيرة، وقال جاسون:

"شكرا للسما. لقد كنت أخشى أن تغيري رأيك".

وقدم اليها علبة مجوهرات وهو يقول:

"اشتريت هذه مساء أمس وهي تناسب ثوبك هذا، لكن لمعرفتي بالنساء كنت أتوقع أن أجده غيرت رأيك في آخر لحظة".

وفتح العلبة وأخذ منها سلسلة فضية تتدلى منها قلادة جميلة من المعيق والفيروز وضعها حول عنقها، وأدركت حتى قبل أن تنظر اليها في المرأة ان جاسون دل مرة أخرى أنه يتمتع بذوق رفيع ومعرفته بما يصلح لزيئة النساء.

وجعلها تستدير لتواجهه، مبدئاً إعجابه بزينتها. وخينئذ أحست بالخجل من كل شكوكها فيه وقالت له:

"إنها جميلة. شكراً لك. انك تدللني يا جاسون".

وتطلعت اليه فقال:

"من الأفضل ألا أستمري في هذه المداعبات حتى لا أفسد زينتك. وستضيعين وقتاً طويلاً لاعادة زينتك الى ما كانت عليه".

وودت لو تصرخ فيه: فلتذهب زينتي الى الجحيم، لكنها لم تجرؤ. لا شك أن منظرها سيحوز قبولا عاماً. كانت تعرف أنه سيكون هناك نحو مائتي ضيف في الحفل، البعض منهم من أكثر الناس ثراء من علية القوم الذين لم تكن لتقابلهم لو ظلت في الأقاليم ولم تأت الى العاصمة وتلتقي بجاسون. وقال لها وكأنه قرأ أفكارها:

"أنت لست عصبية، أليس كذلك؟"

"هل يتعين علي أن أكون عصبية؟"

"ليس هناك سبب على الإطلاق يدعوك لهذا. سيكون هناك عدد من أرامل النبلاء المعجائز، وقادمون جدد الى المجتمع الارستقراطي، وهؤلاء، ليسوا تشكيلة لطيفة".

"سأظل بمنأى عنهم، وثق أنني لن أسبب لك حرجاً".

"أيتها الحمقاء الصغيرة. أنا أحاول تحذيرك وحمايتك. وعلى أية حال فإن تربيتك تزودك بالحماية من فساد المجتمع الارستقراطي".

"الفساد موجود في المجتمع كله مهما كان مستواً. انك تجعلني عصبية. ممن يجب أن أخاف الليلة؟"

"لا أستطيع أن أجيب لأنني لا أعرف. هيا بنا لا أريد أن نتأخر".

وظل صامتا طوال الطريق الى ميد نهيد حيث يملك السير شارل وليدي هيووارد منزلهما وهو قصر كبير قديم يطل على النهر. وأخذت تتساءل عما يحاول أن يحذرهما منه. ان

وجود ليسا ربما يكون هو السبب الوحيد الممكن ماذا يمكن أن يكون غير ذلك . وعندما وصلا كانت ترتجف بعصبية وتود انتهاء الحفل على خير . وأوقف العربدة وقال لها : من الأفضل أن تنزلي وأن تنتظريني في الداخل حتى أجد مكانا للسيارة . وأرادت أن تعترض وأن تقول أنها تفضل أن تلازمه لكن وجود منادي السيارات بالقرب منهما ووقوف صف من السيارات خلفهما منعها من ذلك . فنزلت ودخلت الى المنزل حيث واجهتها الأنوار المتلألئة والموسيقى والأصوات المرحية . كانت رائحة الثروة نفاذة في كل مكان ، فراء فاخرة وثياب غالية وجواهر رائعة .

وتلفتت ميراندا حولها وبدا أنها لا تعرف أحدا . لكن ليدي هيو بار رأتها وأسرعت اليها وخيتها بحرارة وقالت لها : "هل تتركين شالك يا حبيبتي وأنت تنتظرين جاسون . شكرا لكما على هديتكما القيمة ، سنعتز بها دوما . انني وشارل مجنونان بهذه الكأس الفينيسية الرائعة ."

أي ذاكرة قوية . ان ليدي هيو بار لا شك تلقت ما يزيد عن مائة هدية في هذه المناسبة ومع ذلك تتذكر من أهدى وماذا ؟ وبعد أن وضعت ميراندا دثارها في غرفة وضع المعاطف واطمأنت الى زينتها عادت الى الردهة حيث رأت جاسون يقف وسط مجموعة تفيض حيوية ومد يده وسحبها الى الحلقة بطريقة جعلت قلبها يقفز حبا وطلب لها شرابا . كان الضيوف ما يزالون يتوافدون حيث يستقبلهم سير شارل مرحبا .

وعندما تحرك الضيوف الى غرفة الطعام رأت ميراندا عددا كبيرا من الناس كانت قد التقت بهم بعد الزواج لكن لم يكن هناك أثر ليسا وزوجها . وكانت المائدة التي على شكل حدوة حصان مليئة بأرقى أنواع الأطعمة . وشرب الضيوف نخب المحتفى بهما ومال والي امبروز الذي كان يجلس الى يسار ميراندا عليها وهو يقول :

"انتظري حتى يتجاوز زواجكما أنت وجاسون أربعين عاما ."

بصوت لها ربما يكون هو السبب الوحيد الممكن ، فإذا يمكن
أن يكون غير ذلك . وعندما وصلا كانت ترتجف بعصبية ونز
التياء الحقل على خير . وأوقف العربية وقال لها : من الأفضل
أن تنزلي وأن تنتظريتي في الداخل حتى أجد مكانا للسيارة .
وأرادت أن تعترض وأن تقول أنها تفضل أن تلاتزمه لكن وجبه
عنادي السيارات بالقرب منهما ووقوف صف من السيارات
خلفهما منها من ذلك . فنزلت ودخلت الى المنزل حيث
واجهتها الأنوار المتلألئة والموسيقى والأصوات المرحية . كانت
رائحة الثروة نفادة في كل مكان ، فراء فاخرة وثياب غالية
وجواهر رائعة .

وتفقت ميراندا حولها وبدا أنها لا تعرف أحدا . لكن ليدي
هيوبار رأتها وأسرعت اليها وحيثما بحراة وقالت لها :
"هل تتركين شالك يا حبيبتي وأنت تنتظرين جاسون . شكرا
لكما على هديتكما القيمة ، سنعتز بها دوماً . أنتي وشارل
مجنونان بهذه الكأسي الفينيسية الرائعة ."

أي ذاكرة قوية . ان ليدي هيوبارد لا شك تلقت ما يزيد عن
مائة هدية في هذه المناسبة ومع ذلك تتذكر من أهدي وهذا ؟
وبعد أن وضعت ميراندا دثارها في غرفة وضع المحافظ
واطبأنت الى زينتها عادت الى الردهة حيث رأت جاسون يقف
وسط مجموعة تفيض حبوية ومد يده وسحبها الى الطرفة
بظريقة جعلت قلبها يقفز حيا وطلب لها شراباً . كان الضيوف
ما يزالون يتوافدون حيث يستقبلهم سير شارل مرحبا .

وعندما تحرك الضيوف الى غرفة الطعام رأت ميراندا عددا
كبيرا من الناس كانت قد التقت بهم بعد الزواج لكن لم يكن
هناك أثر لبيبا وزوجها . وكانت المائدة التي على شكل حدوة
حصان مليئة بأرقى أنواع الأطعمة . وشرب الضيوف نخب
المحتفى بيما ومال والي امبروز الذي كان يجلس الى يسار
ميراندا غايها وهو يقول :

"انتظري حتى يتجاوز زواجكما أنت وجاسون أربعين عاما ."

ت ميراندا رأسها . فهي لا يمكن أن تتخيل ذلك ، والتقت
ليبا مستفسرا فكرر والي ملاحظته ، فعلق جاسون

معاكدا من أن صبر زوجتي سيستمر أربعين عاما ."

مجرد والي :

غنيمة لم الحفلها فيك يا بني . وربما يشعين عليك

م سمع ميراندا بالي الملاحظة المارعة لأن باب غرفة
الغداء فتح ودخل شخصان ونهضت ليدتي هيوبارد
استانها . كادا لبيبا وزوجها .

ت ليسا أجل ما تتذكر ميراندا رغم مظاهر الضجر
ساذجة على وجهها . وجلسا في مكان خارج عن مجال رؤية
ميراندا ، لكن ما أن انتهى الطعام ونهض الضيوف حتى شكت
بيبا طريقها متعمدة الى جاسون . وانسحبت لميراندا وهي
تصيحيا ثم استدارت لجاسون تسألت :

"هل سقيت تصدا يا جاسون ؟"

أنا الى مايرام شكرا لك ."

استدار جاسون ليقدم حوض الى ميراندا لكن ليسا سقته
بتقديم قسير ثم استطردت .

"أقلقتني ذلك المساء عندما تعشيت مع مايك عندما وأعتقد
أنه لو لم أصر على استدعاء طبيب كثير ، لكنت قد ذهبت الى
بون في اليوم التالي وأصابك انهيار ."

فلت ميراندا صامدة لا تستطيع أن تنظر الى جاسون وكل ما
استطاعت أن تفكر فيه هو أن جاسون لم يخبرها .

ودامت النهم المضيق تقول لهم ان ديان انة ان السر
شارل الصغيرة سترقص وأن عليهم أن يشربوا لمشاهدتها
وأضافت :

"سيكون هناك رقص وبرنامج غنائي ثم خراف مشوية في
منتصف الليل للشبان . وتستطيعون بعد ذلك النزول الى

بحر. نحن على النهر اذا كنتم تريدون هواء نظيفاً. .
 ونهضوا جميعاً الى قاعة الاستقبال حيث صفت الكراسي في
 جانب سبها وتركزت الأنوار في الجانب الآخر وبعد قليل
 ظهرت ديان حيث قدمت عدة عروض راقصة، وأظهرت موهبة
 رائعة، استحققت معها تصفيقاً حماسياً. وعندما أبداً والتي
 أمروا بعليقا حول عدم تصح من هذه الفتاة الصغيرة وسط
 جاسون وقال أنه سيطلب مراقبتها بعد أن يبرأ. فقالت
 له ميرندا أنه يستطيع مراقبتها طوال السهرة، لا ذراكها أنه
 ليس هناك خطر في مراقبة هذه المصيبة الفاتنة التي تقترب
 من مرحلة النضج. ولم تحرم ديان أبداً شخصاً بطش
 مراقبتها. وفي حين أدت النساء العجائز العجائز بها
 قالت سيدة شابة أنه من الغار تركه الاطفال يسهرن الى هذه
 الساعة المتأخرة من الليل، فرددت عليها إحدى العجائز:
 "هل هي تسمى لك قللاً يا عزيزتي".

وجاء سير شارل يطلب مراقبة ميرندا وسمع هذه
 التعليقات فقال لميرندا:
 "إن أمة أخرى هذه سمعتت كثيرا من القوي في السلوات
 الظلمة المفضلة. هل تعرفون أنها استولت على (وذك) وطلبت
 منه أن يأتي لها بشراب.
 "أعتقد أن الاستيلاء عليه يسعد".
 "لكن أود أن أسالك هل أنت وجاسون متقاهمان؟ إن لم يكن
 سؤالي هذا تطفلاً".

جرت رأسها وهي تقول:
 "متقاهمان تماماً، شكراً لك".
 حسناً، التي ضرور لأنه قرر أخيراً أن يخوض التجربة. فلما
 من أحد المتحمسين للزواج، أنه يوفر الاستقرار للرجل، خاصة
 اذا كان في وضع جاسون، أنه يحتاج الى امرأة مثلك فقد
 كنا أنا وزوجتي قد يسنا من استقرار، فاجبتك عن اختياره
 للفتاة المناسبة".

هذه صاخلة وإن أعربت عن امتنانها لهذا الصريح
 السامع. كانت تعرف أن شركات كثيرة تفتحص أموال
 جاسون بوظيفتها قبل ترقيةهم وهي تعتقد أن شركة كارولا
 سكر تعمل ذلك.
 "لماذا أنتهت الموسيقى لم يكن هناك أثر لجاسون فقال
 لها سير شارل:
 "سأنت لا أستطيع أن أعيدك الى زوجك. فما تفتش عنه؟"
 "شكراً، أعتقد أنني سأذهب لاستلشق بعض الهواء ليضع
 يدي".

وصلت طريقها بين المدعوس حتى وصلت الى الدواخل
 في نهاية الغرفة، حيث وقفت لحظات ثم خرجت الى
 الحديقة وهي تأخذ أنفاساً عميقة من هواء الليل العليل.
 كانت كلمات سير شارل لها أطيب الأثر عليها وسمعت أن
 يكون كلامه من الفتاة الطامسة منطقياً فليها، وأن جاسون
 يحتاجها حقاً. كانت الموسيقى تصل اليها عبر الدواخل
 المظلمة. واستدارت فسمع ثم عبرت رأيتها لتسير في
 الحديقة كما يفعل بعض الصيود الأشرين، لو أن جاسون ذكر
 سناً لماذا تحب أني ذكر الفتاة التي أراد الزواج بها؟ لماذا
 خفت عندها أخبرته فتذ أسابيع مضت أن ليسا زارتها. ولماذا
 لم تتصل بها ليسا... هل لأن جاسون عثرها عن الاتصال
 بزوجته؟

وبدأت تلوم نفسها على قلقها، وخطر لها أنه من الأفضل أن
 تعود قريباً يحتاج جاسون الى من ينفذه من ديان. وبدأت فعلاً
 تسرع المخطى حتى وصلت الى حافة سياج مرتفع. وسمعت
 صوت ليسا وتوقفت. كانت مسطوح بها لو تلمست خطوة
 أخرى. وقصبت أنها لم تكن وحدها فقد لمعت جاسون معها،
 وسمعتها تقول له:
 "الذي لماذا لن سبرني يا جاسون؟"
 "لاني لا أريد هذا، يا حلوة".
 "لكن لابد لي أن أعرف، أنا أعرف أنها تحبك، يكفي أن

نصت إليها فغلبت فأغلقت عينيها لحظة . ثم استدارت
إلى ديان وهي تبتم قائلة:
« يا ديان أنا بخير تماما »
رفعت رأسها عالياً ودخلت وحدها بين الضيوف رغم أنها
لم تكن تحب أن قلبها تضخم .

يظهر إليها الإنسان يعرف هذا . لكن هل تحب زوجتك الصغيرة
بحسب يا جيري .
« اعتقد أن هذا ليس موضوعنا » .

كانت كلمة موضوعنا تجمع بين جاسون وليسا وتؤكد العلاقة
بينهما مما سبب ألما بالغا وأحست باختناق . أرادت أن تسرع
سريعا قبل أن ترى ما يحطم سعادتها ، وفي الوقت نفسه لم
أن تهاجم هذا العدو الصراخ . لكن الخوف والتلفيد من
الحقيقة جعلها تطفى سجيئة صامتة تحت الأشجار المظلمة
الهامسة وسمعت ليلى تقول:
« كلا يا جاسون أنا حقا لا أريد أن أعرف ، لأنها زوجتك جيد
حدث لكن هذا يضع حدا لشكوك جيمس » .
« هل كان يشك » .

« اعتقد هذا » . تكلم اسرع عندما سمع الخبر . اعتقد أنه
كانت ضربة معلم . أقصد ، أننا لا يمكن أن نفكر في سنار من
الدفان خير من هذا . هل قلت لك أن دعوتكما معا في عطلة
نهاية الأسبوع كانت فكرته ؟ فانا لم أكن أجروا على المضي
في هذا الحد . . . اوه يا جاسون أسرع فانا اعتقد أن شخصا ما
قادهم .

واهتزت ساها مراندا وسحب وجهها وأحست بالفتنار
فاستدارت جذورة فوجدت أمامها ديان التي قالت لها
شاحكة .

« اوه ، ها أنت ، كنت ابحت عنك » العمة اليانور أرسلتني لأقول
للضيوف في الحقيقة ان القناء الراقص سيبدأ ، هذا اذا كنت
تريدون مشاهدة . لكن لا يجب أن يفوتك رودي ريكرادوه انه
رائع .

وجدت ميراندا ديان من ذراعيها وأدخلتها معها وهي
ترنمش حتى لا ترى ما رأت ، فسألتها هدد .

« ها بالذات ، هل أنت مريضة ؟ »

« كلا ، أنا على ما يرام » .

١٢ - طعم الانتظار

لم تكن تعرف كيف ستستمر خلال ما بقي من وقت السهرة .
هزتها صدمة الخيانة واجتاحتها كالعاصفة، جهدة بأن
تنسّف سيطرتها على نفسها في أي لحظة . لكن قوة شخصيتها
والطابع الخاص للمناسبة، جعلها تشعر بأنها طرمة بأن
تحاول التظاهر كأن شيئاً لم يحدث . وعندما جاء جاسون إليها
كانت تنسّف ، فقال لها :
"هل نودين شراباً ؟"

كان صوته لا أثر فيه لاجتباس بالذنب .
هل كان ذلك خيلاء أم أن أمه يحاول أن يكون طبيعياً وأن
يكون سلوكه جذراً ؟ لكن صوتها هي احتبس في حلقها ولم
تجرؤ على النظر البتة فبرزت رأسها نفياً . ولحسن الحظ بدأ
المطرب أدائه .

ولفترة لم تنظر إلى جاسون أو تكلّمه . ورأت ديان في طرف
الفرقة الآخر تحديق في الممغنير وانسابت الدموع حارة من
عينها . فاستدارت وانسلت من الفرقة . مضت عبر الردهة
الخالية إلى غرفة أيداع المعاطف وأغلقت الباب خلفها بعيداً
عن العيون الفضولية ، وأخذت نفساً عميقاً منتحبة وهي تتأهّد
لاستعادة سيطرتها على نفسها . ونجحت في ذلك . وحل الأيسر
الهادي ، محل أفكارها العنيفة : هل تهرب ، أو تبقى وتواجه
ليدا ؟ أم تكتب إليها على جاسون ؟ دهشت أسفاً

است بالتخفّف من عبء كانت تنوء به والتخفّف من الشكوك
والظنون التي عذبتها طويلاً . أرادت ، دائماً أن تبقى حية
ومرّت هذه الشكوك لكن الفريضة كانت صادقة . ان العلاقة
القديمة بين جاسون وليسا لم تنته أبداً رغم أن كلا منهما
كان أن يتزوج شخصاً آخر . وذلك مجرد ستار من دخان كذا
كذا لئلا .

ونظرت ميراندا إلى وجهها الأبيض المذعور في المرأة .
لما كان هذا في ذهن جاسون منذ البداية . وهذا السبب في
أمرينا حاولت تحذيرها لكنها كانت غبية . وساذجة . لكن ما
لذي ستفعله ؟ وبعد مرتفشة أضلحت زينتها ، ومع ذلك فلم يعد
منظرها يعنيها . ان ما يعنيها الآن هو شيء واحد .
وعندما عادت إلى الردهة كان جاسون واقفاً أسفل السلم
عندها رآها اطفأ سيكارتة بعصبية وتقدم إليها وتعبير وجهه
يعكس القلق والاحساس بالذنب مما أكد مخاوفها وسألها :

"أين اختفيت ؟"

"باله من سؤال ؟"

"اعتقد أنك كنت تصلحين زينتك ."

"اعتقذك في مكانه ."

"لكن لماذا استغرق هذا كل ذلك الوقت ؟ هيا ، لقد قاربنا
الانتهاء تلك هي الفرصة الوحيدة ."

وتقدمته إلى الغرفة الكبيرة حيث سمحت له أن يأخذها بين
ذراعيه ليرقصا الرقصّة الأخيرة . ونزل عليها أحاسيس
باللاواقعية ، وأعربت عن دهشتها عندما عزف الموسيقيون
فانيس الزفاف وسألها جاسون :

"ماذا بك ؟"

"لا شيء ، انني على ما يرام تماما ."

"أنا لا تبدين كذلك ."

"شكراً لك ."

"أنت تعرفين أنني لا أقصد ."

"أذن ما الذي تعنيه ؟"

"لقد يا الهي ألا ينتهي هذا؟"

وعندها انتهت الموسيقى غوغم قائلا:

"هيا بنا لنودعهم ونخرج من هنا."

وقعلا ذلك، وعندما وصلا إلى السيارة كانت ميراثنا ترتعش، وسارعت إلى مقعدها، بينما حاول جاسون أن يخلص سيارته من بين كل السيارات التي تحاول أن تخرج في الوقت نفسه، وفي مكان ما اصطدمت سيارتان وصاح جاسون:

"أنا والتي لم يكن له أن يقود سيارة وهو بهذه الحالة، هذا الحق."

ولم تنجب ميراثنا بل ارتعشت وودت لو أنها أقرضت في الشراب فلما فعلت وإلى أمروزي، ولاهظ جاسون رجعتها، فأخذ منارا من الخلف وألقاه على ركبتيها، وهو يناضل للخروج بالسيارة، وخرجها إلى شارع واسع فزاد جاسون من سرعة سيارته، وبدأ الضمت يتكاثر حتى أصبح كشيء ملغوس، ويبدو أنه أحس أنها تود أن تثير نقاشا فقال لها:

"ليس الآن، لنأجل ذلك."

"هل هناك شيء يتعين تأجيله؟"

"أنت التي تسألين عن ذلك؟"

"أنتك مع إيسا."

"تصورت ذلك، كان ذلك هو الشيء، الوحيد الذي فُتِرت أنه ربما مكر مزاحك على هذا النحو."

"عكر مزاجي، هل هو كل ما نستطيع أن نقوله؟"

"كلا، أستطيع أن أقول الكثير، لكنني أفضل ألا أقود سيارة وأنت تفقد السيطرة على انفعالاتك."

"هل تقصد أنه ليست لديك النية للتفسير؟"

لم يكن هناك رد... واندفعت السيارة بهدف لم تعهده في قيادته للسيارات. وعندما وصلت إلى بايرن سكوير، كانت ما تزال ترتعش، وفي صمت أدخل السيارة إلى الكاراج ودخلا المنزل، وسبقها حيث أحضر قذعين من الشراب قدم لها

بعد منهما وقالت له:

"شكرا."

"هل نصبت على القبة؟"

"كيف تجري على أن تقول هذا؟ لم أكن أنصت."

"أنت بغير وعي، وتبست لمرقة أدرى لا أدركت أن ليثا هي التي كانت تحاول إرجاع ما مضى، وليست أنا."

"من يهم من الذي كان يحاول؟"

"نعم أنت مهم، لقد استعصت، أليس كذلك؟ جاءت إيان وهرت أنت؟ من المؤسف أنك لم تستمعي لفترة أخرى، كنت تتدبرين وأنا أقول لثيا إن المسألة انتهت للأبد."

"أول كانت ليثا منذ البدء؟"

"نعم، كانت، واعتقد أن كل إنسان في المدينة كان يعرف هذا."

"فيما عداي؟"

"اسمعي يا غيراندا، عندما تزوجتك لم أطلب منك تقريراً عن علاقاتك في الماضي، فلم كان على أن أقدم تقريراً؟"

"لم يكن لي أي علاقات، عدا..."

"وتفلسف فيها ولم تستطع أن تواصل."

"أنا هدرك لهذا، وربما اختلف الأمر لو لم أدرك هذا، إن التجربة والبراءة لا يلتقيان... ومع ذلك فأنا أعرف أنك لن تقنعني ما لم تعرفي القصة كلها، سأقول لك، نعم كانت لي علاقة مع ليثا استمرت نحو سنة وانتهت عندما اختارت أن تزوج جيمس لنديسقرن لأسباب ليس هذا مجالها، اعتقدت أن العلاقة انتهت، ورأيتها في نحو ثلاث مناسبات اجتماعية في الأشهر التالية، وكان ذلك فيما يتعلق بي، هو نهاية العلاقة، أعترف أنني كنت أشعر بالحرارة، كانت المرأة الوحيدة التي تعلقت بها، وكان رد فعلي البحث عن تعزية نسائية في مكان آخر، أم يكن ذلك رشداً مني، إن ليثا مسؤولة عن أشياء كثيرة في حياتي الشخصية، لكننيها حياة اختارت

أكثر اللحظات قطرة من الناحية السيكلوجية لتعود الى حياتي . هل تذكرين تلك الليلة التي أويت فيها الى مكتبتي ؟ وأوقات برأسها وهي تأمل ألا تخفي في تدفيع أوهامها لكنها كانت تدرك عدم جدوى هذا ، واستطرد يقول :
عندما تركت تلك الليلة وعدت الى هنا رن جرس التليفون . كانت ليسا ، كانت في روما لزيارة أختها ونظرا لانقضاء رحلتها المحددة سلفاً رجعت في رحلة أخرى قبل موعدهما المتفق عليه مع زوجها بليلا ولم يعرف جيمس ذلك ، ولذا جاءت مباشرة من المطار الى هنا حيث أمضت الليلة . لا تنظري اليي كذلك . اللعنة على كل شيء . كنت أحبها ، ولم أكف وقد رأيتها من شهور وجاءت الى هنا وارتمت بين ذراعي . كنت أشعر بالتماسة في تلك الليلة ، ولم تكن هناك لحظة أفضل من هذه تغتنمها . كنت قد خرجت من تجزئة قاسية مع كارلينا التي قد قلبها من حجر ، في حين يجعل عقلها مثل كومبيوتر البنك ، وبدت لي ليسا أكثر شيء أريده ، وقبلة عادت الي . وبعد ذلك أخذت أتساءل هل كانت هذه الليلة حقيقية . ثم تساءلت كيف سأنساها ثانية . لكنني أدركت أن ذلك تفكير مجنون وأن استئناف علاقتنا لن يؤدي الا الى المتاعب ثم تحدثت الي بعد ذلك ببضعة أيام ، لا غرائي بقضاء عطلة نهاية الاسبوع معا وبصورة سرية . فقد كان جيمس ذاهبا الى اسكتلندا . وفي البدء الخرائطي هذا العرض لكنني فكرت في جيمس انه انسان غافل لكنه أمين تماما . وبدأت أتساءل هل كانت ستتخذ لها عشيقاً لو تزوجتني وشعرت بالأسف له . وبالأشمنزاز من نفسي ومن ليسا فأخرا ما أريده هو أن استغفل صديقا قديما . وكانت تلك هي اللحظة التي بدأت فيها أسيطر على رغبتني .
وقفت ميراندا وهي تحس بالفتيان وبالرجفة تخلل قلبها ورغما عنها كان عليها أن تعترف بالحقيقة الواضحة من كلامه . كادت تصدق أنه أراد فعلا إنهاء علاقته بليسا . وأحسست بأن عينيه تتابعانها وهي تتجه صوب الباب ، ثم

أدركت أن قال :

أمر انداء لم أنته بعد .

أريد أن أسمع المزيد .

ليسا لا تريدني ، لكن فأت أوان تغيير الرأي . لقد تساءلت بين وبين نفسي منذ فترة كم من المكالمات سمعت . كان لابد أن يحدث هذا وهو يشعر موافقك منذ زواجنا ، انتهى كل هذا بأمراندا .

هل انتهى ؟

وضع يديه على كتفيها وأجبرها على أن تستدير اليه :
هل يمكن أن أقدمي أي دليل موحا صغر على اني لم أكن مخلصاً لك منذ زواجنا ؟ أم تفضلين شكوكك التي لا أساس لها ؟ ان ليسا حاض انتهى من حياتي .

كانت تود أن تفتنع بأن شبح ليسا ينتمي الى العاصي وأن شكرها لم تعد مائلة في ذهنه . لكن ذلك يحتاج وقتاً ومكاناً لتشفى مما ألم بها وعندما وضع ذراعيه حولها وقفت بدون رغبة او استعداد للاستجابة ، فوجد ليسا مائل أمامها مما في الظرفه ، وأبتعدت عنه وهي تقول :

أنت نسيتي .

لماذا ؟ أنت زوجتي .

هل هذا هو كل ما تزوجتني من أجله ؟

هل هذا ما تعتقدينه ؟

والتفتت اليه فواجهه وعيناها مغرورتان بالدموع وهي تقول :

ماذا أعتقد غير ذلك ؟ ظلت ذلك بوضوح عندما ظلمت جنس الزواج ، ولو كنت رضيت بالملاقة التي كنت تزريدها ، هل كنت ستزوجهني ؟

الرجل لا يتزوج من أجل الجنس وحده كنت أستطيع الحصول على ذرية فتيات . قولي لي ما الذي تنتظرينه مني ؟ حاولت أرضاء مطالبك المادية والاجتماعية ماذا تريد من أكثر ؟

لن تتعطيني، جماً وروحاً*.

"لا أريد أن اتجلك على الإطلاق، ولكنني لن أشارك الآخر
فيك، لماذا تزوجتني؟"

"كنت أسأل دوماً، لأنني كنت أعرف أنك لم تتزوجني لأنك
وقعت في هواي*."

وتردد وعندما بدأ يتكلم لم ينظر إليها وقال:

"لم أعتقد أبداً أن أحل دوافعي، لكنني أعرف أنني لم أكن أبغ
شيئاً منك بدون رواج، ومن ثم تزوجتك، تحت ضغط اللزوم،
ولكنني أكون أميناً جعك، أعتقد أن ذلك كان رد فعل الاخفاقي.
أبست تلك هي الطريقة التقليدية لوصف ما حدث؟"

واجتهد الصمت بعد أن قرغ من حديثه واقترت منها بعدما
شرب ما في قنجره دفعة واحدة فنظرت إليه بخذر. ووقف
قبالتها وهو يقول:

"في أية حال أوضحت رأيك في بوضوح الليلة، فهاذا هناك
غير ذلك يمكن قوله؟"

وبدا الصبح واسعاً وعميقاً وبارداً، ولما لم يره على سواك
السل سديم، وخرج من الباب وصعد خلفه بعدد. وعندما
وقعت رأسها وجدت العرق غائبة.

وكانت الأيام الثلاثة التالية آتس وأطول أيام حياتها، إذ
بقي جاسون بارداً وهشاشاً، كانت تراه فقط عند الإفطار
ومتأخراً في المساء عند رجوعه بوجه مكشفر ومتحفظ.

وفي صباح اليوم الثالث استجتمعت شجاعتها، فلا يمكن أن
يستمر على هذا المنوال، واستعادت فاستقبلته، وحرصت أن
تنزل إلى الإفطار قبله صباح الأربعاء، لكن كل ما نوبت ليلته
إذ رآته نازلاً يصطع حقيبة، وإسبش وجهها وهي تراه يصورها
قرب حقيبة يده، وجلس في صمت يتناول إفطاره بلا تعجل ثم
أخذ يتصفح الصحيفة، أنه سيتركها، ليس هناك تفسير آخر
فلم يذكر خلال الأسبوع الماضي أن لديه رحلات عمل، ومواعيد
جاسون ورحلاته مرئية ومنظمة جيداً من قبل، ونسيت.

وقف عدم الحديث الذي التزمه وسألته:

"أين أنت ذاهب؟"

وخفض الصحيفة قليلاً وهو ينظر إليها ويقول ببرود:

"هنا".

"سألتك: إلى أين أنت ذاهب؟"

"إلى يون*."

ورفع الصحيفة مرة أخرى، لكنها أضافت:

"وه، طبعاً! أنت... لم تذهب إلى هناك بعد روما، لقد

كنت..."

"كنت تود أن تسأله كم يمضي هناك لكنها تراجعت.
وكن فطن لذلك أضاف هو:

"أعود يوم السبت، وسنتحدث عنئذ إذا عدت إلى رشك*."
وماتت على شفيتها الكلمات التي أوشكت أن تمنى بها

رحلة سعيدة له وذهب هو قبل أن تستطيع الاعتراض والانتكار،
وفي أحد الأيام تفقدت علبه زينتها التي أهداها لها

جاسون وتذكرت أنها نسيته في بيت السير شارل فالتصفت
بالبيت وكانت ليدي هيووارد هي التي ردت عليها وقالت لها:

"سأبحث عنها فوراً يا عزيزتي، أنتظري لحظة سأسأل ماري*."
وبعد لحظات عادت ليدي هيووارد لتقول لها:

"نعم يا عزيزتي هنا علبه صغيرة، علبه فضية عليها صور
فراشات*."

"إنها هي*."

"إنها سليمة تماماً، هل أرسلها لك؟ أو اطلب من شارل أن
يعطيها لجاسون، لكنني أخشى أن يكون ذلك منافياً للحكم، فلا

يجب أن تدع رجلاً يدركون أننا ننسى هداياهم، لدي فكرة،
إذا لم تكوني مشغولة لماذا لا تأتين؟ أننا نحب أن نراك*."

لماذا لا تأتين غداً يا عزيزتي؟ تعالي صباحاً ونأمي عندنا
الليل، وعنئذ تستطيعين أن تذهبي مع شارل يوم

استقبال جاسون*.

ولم تستطع ميراندا أن ترفض هذه الدعوة غير المبررة لكنها خافت أنه سيكون عليها إذا ذهبت إلى المطار. تحدثت إلى جاسون وكان شيئاً لم يحدث* وعندها سار بها التاكسي في الطريق نفسه الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي إلى بيت سير شارل لم تصدق أن ما يقل عن أسبوع انتهى منذ قطعت هذا الطريق مع جاسون. وعند وصلت السيارة أسرع ليدي هيووارد لملاقاتها والترحيب بها. كان الحوار دائماً هديلاً لطيفاً مع ليدي هيووارد، وكانت ميراندا تدرك جيداً أن الزوجين هيووارد يستلطفانها. ومع ذلك قررت ألا تقول شيئاً عما يحدث في علاقتها مع جاسون. وأمسك معها وقتاً ممتعاً، وأحست بالسرور لأنها لم تضطر لبقاء يومها وحيدة في بايرن سكوير، فقد اشتركت في إزالة النشائش من الحديقة. وفي وقت الغداء وصل السير شارل الذي داعبها بأن قال لها أنه من الواضح عليها أنها تفتقد روحها.

وأثناء الإفطار في اليوم التالي سألتها السير شارل

هل حدد موعداً لوصول الطائرة؟*

وأجابت ميراندا:

كلا، قال فقط أنه سيعود يوم السبت*.

ورد مضيقاً:

ذلك طبع جاسون، إذا لم يقل لزوجته فلنم سيقول*.

فتدخلت ليدي هيووارد على نحو أنقذ ميراندا بأن قالت:

ربما لم يعرف إلا في اللحظة الأخيرة. وربما طلب ميراندا تليفونيا الليلة الماضية وهو لا يعرف أنها هنا*.

وأوما السير شارل موافقاً وهو يقول:

لم أفكر في ذلك*.

فحالت زوجته

تلك عادتك. وأنسى لأتساءل أحياناً كيف يدبر الرجال

رجال والبلدان، لكن هذا ليس غريباً في ضوء حالة الانحلال

التي يعبثها العالم حالياً*.

فألتها:

هل هذا يعني أن السيدات سيدرن الأمور على نحو أفضل؟

وردت زوجته:

نك في هذا*...

ثم التفتت إلى ميراندا وهي تقول:

هل تودين الاتصال بالبيت تليفونيا لتسألني إذا طلبك أمس؟*

وتدخل سير شارل:

نعم، فنحن لا نريد أن نتخلف عن الطائرة*.

وبلعت ميراندا ريقها وهي تقول:

أنه كرم منك أن تعرض اصطحابي لمقابلة، لكني لا أعتقد

أن جاسون يتحدث تليفونيا، فهو لا يحب استقباله أو رؤيته

في المطار، ولذا*...

ورد سير شارل:

ومن ثم فأنت تحترمين رغبته ولا تريدان أن تشكلي مشكلة

من موضوع تافه، تلك حكمة من جانبك*، لكن زوجته تدخلت

قائلة:

ألا يحق لنا أن نخالفه سادتنا؟*

ووافق السير شارل قائلاً:

هذا الفتى يزاد غروراً. لم أسمع أبداً أن هناك من لا يود

استقباله في المطار*.

وإستأذن السير شارل وخرج من الغرفة تاركاً زوجته مع

ميراندا وحالبت أن عاد وهو يقول:

ليس هناك خبر عنه في منزلكم. تحدثت إلى الأنسة هايو

وطليت منها أن تتصل بالمسؤولين في المطار لتراجع قائمة

المقربين من يوم اليوم. وستخطرنا خلال نصف ساعة*.

وبالفعل اتصلت الأنسة هايو وأخطرتهم بأن اسمه ورد على

الطائرة المقبلة من فرانكفورت التي تصل ظهراً*.

بقيت ثلاث ساعات، بعدها ربحا متلصحين، وتواجهتا واستندتا
عليهما التوتير... إذ قال لهما سلفيتان، أحدهما أخود كما لو كان
لهما نفس الحرارة.

وفي خضم أفكارها كادت لا تلاحظ أن السير شارل يمشي
مرصفاً ليرد على التليفون الذي أخذ يرن رنيناً مستمراً مزعجاً
في حين كانت ليدي هيوبارد مستندة إلى اللوراء وعيناها
سلفيتان وملاحظتها مسترخية، وفجأة سمعت انصقاق الباب
منبهاً فوجدت ليدي هيوبارد عينيها وسجعت قطرات مبررة
والسرير سير شارل وهو ملصق قائلاً:

"الطائرة... لقد كانوا في المطار يتحدثون إلى..."

فجمت ليدي هيوبارد واقفة:

"ماذا حدث يا شارل؟"

"هناك قنبلة في الطائرة."

١٣ - بداية الزواج

بالطبع: لقد كان كابوساً.

قبضت ميراندا على الاطار الخشبي لجوانب الكرسي بعنف
حتى أدت بدميها، عليها أن تستفيق، وأن تهرب من هذا العنم
المرعب الذي يهدد بصياح عقلها، وأغلقت عينيها، وبعد ذلك
جدقت في السير شارل وهي تود أن تعرف الحقيقة وأن
ستحيل قناع المرعب، هذا المرسم على وجهه إلى تلك
القصبات اللطيفة المألوفة التي تعرفها.

"لقد وجهوا اليهم تمذيرين، أحدهما في فرانكفورت بعد
إقلاع الطائرة مباشرة، والثاني هنا، انهم..."

وجدت ليدي هيوبارد وكأنها تجمدت واستحالت حجراً، وأطل
الرعب وعدم التصديق من عينيها وهمت:

"شارل، ماذا قلت؟ هل قلت..."

"لقد حوتوا الطائرة إلى البحر، حالة طوارئ كاملة، لكن
التقرير الوارد من فرانكفورت قال إن جهاز التفجير مربوط
بجهاز التهيؤ، وستحدث الكارثة إن لم يحددوا مكانه في
الوقت المناسب... لكن كيف سيهيئون إذن؟"

لم يكن هناك رد - وفجأة ففرت من مكانها وهي تقول:

"لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً، إنها خدعة، إن إنساناً هجيناً
يمزج... انهم دائماً يخابرون شركات الطيران ليقولوا أن
هناك قنبلة على طائرة، وتنت الممرات تلبس الأشرطة أن

تفصلاً هازلاً هو الذي فعل ذلك.*

ورأت ليدي هيووارد يدي ميراندا وهما تتحسسان الطريق واندهعت للأمام لتسدها، واضعة ذراعاً قوية حول كتفيها وقالت:

"شارل أحضر شراباً، أعتقد أنه سيفهم عليها... أسرع يا شارل!"

وردت ميراندا وهي تناضل لاستعادة السيطرة على نفسها وهي تفرح للأمام:

"كلا، لن... أنا... أريد أن أذهب إلى هناك، كيف، أذهب إلى هناك! لا بد أن أذهب إلى جاسون!"

واشدت صلبة الفراخ القوية المحيطة بكتفيها وصاحبت تقول:

"تسأسكي - أنا واثقة أنه سيتضح أنه أذكار كاذب، والرغب لن يساعد جاسون يا عزيزتي!"

وقادتيا عبر باب الخديقة المنبوح ثم قالت لها:

"والآن اجلسي حتى ينتهي الأمر!"

وعاد السير شارل قوفاً، فضعه جاري التي بدت مذهولة وأعطى القدح لزوجته، التي مدتها إلى شفتي ميراندا، وهي تقول:

"ارشفني يا عزيزتي، وبعد ذلك سنحاول أن نعرف ما حدث وسأنت..."

"هل أحضر الراديو لتسمع الخبر؟"

فرد السير شارل وهو يهز رأسه:

"كلا، أنهم لم يطلبوا الصحفيين على الخبر بعد، أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى المطار!"

لكن جاري ذهبت وما شكت أن عادت ومعها راديو ترانسيلور صغير. وكما قال السير شارل لم يدع الخبر، وبنقله عبر خفض صوت الراديو أثناء الموسيقى الصاخبة المنبعثة منه.

وراقبت ليدي هيووارد ميراندا في قلبي، وتفهنت وهي تحت كون الأحمر يبدأ في العودة إلى خديها الأبيضين وقالت:

"أعتقد أن لديهم أجهزة لاكتشاف المتفجرات الآن، منذ أن بدأت عمليات الاختطاف تحدث في الطائرات..."

فأجاب السير شارل وهو يذرع المكان:

"هذا ليس اختطافاً، أنهم أرهاييون، ولكم رحلة طويلة المدى وهرانكفورت هي مكان توقف رئيسي لشركة الطرق الجوية الدولية البعيدة المدى لذهب إلى المطار ونرى..."

وقالت له ليدي هيووارد والموسيقى المنبعثة من الراديو قد توقفت:

"اش... ش... صمتاً..."

وأسرعت إلى الراديو فرفعت صوته الذي أصاب في الغرفة قائلاً:

"جاءنا الآن خبر هام، فقد ورد تقرير ثلثاً عن أن قنبلة تهدد طائرة نفاثة تطير حالياً في طريقها من وهرانكفورت إلى هنرو."

أذ تحت خلال الساعة العاشرة مكثفان تليفونيتان تلقت الشرطة الألمانية أحدهما وتلقت شرطة سكوتلانديارد الأخرى، وجاء فيهما أن قنبلة وضعت في الطائرة، والطائرة

من طراز بوينغ ٧٠٧ تطير في رحلة عادية من الشرق الأقصى وتحتل ١٧٣ مسافراً وطاقمها منهم أربعة أطفال، ولم تلح أي تفاصيل حتى الآن، لكن السلطات لا تعتبر الأمر خطراً..."

وورد تقرير آخر عن الموضوع سمعوه عبر راديو السيارة، لكنه لم يختلف إلا قليلاً عما سبق إذ اعتقد، بل أضافوا

المعلومات التي تلقاها شارل من قبل، وأختم المذيع كلامه قائلاً:

"من المعروف الآن أن الطائرة تم تأخير انطلاقها من وهرانكفورت صباح هذا اليوم حيث تم إصلاح خلل في سيطر

وذلك الصراخ في ادعاء الأرهاييين أنهم ربطوا معدات التفجير في جوار الهبوط في الطائرة، ولكن من المفترض أن المتفجرات هربت إلى داخل الطائرة وأخفيت في مكان ما

لا يمكن التوصل اليه أثناء الطيران، وتجري الاتصالات من غرفة المراقبة في المطار الساحلي الجنوبي الشرقي، حيث يوجه المسؤولون ومن بينهم خبير عسكري في المتفجرات، البحث الذي يتم حاليا على الطائرة المهددة*.

وبمجرد وصول السير شارل وليدي هيووارد وميراندا الى المطار أحصوا بجو التوتر والجاساة، إذ أقيمت نقاط التفتيش في طرق الوصول، حيث أخذت الشرطة ترد الغضبيين والباحثين عن الاثارة وقدم السير شارل بطاقته الشخصية، وسمح لهم بالمرور، رغم حشد الصحفيين والمصورين ورجال التلفزيون والمسؤولين القلقين وأقرباء المسافرين على الطائرة، وكان المسؤولون يتهربون من الرد على الاسئلة فلا أحد يريد أن يورط نفسه، ولا أحد يريد أن يبعث آمالا زائفة ولا أحد لديه معلومات محددة، وفي ردة انتظار المسافرين أقيمت على عجل شاشة لإذاعة الأنباء، وتم ادخالهم اليها لينتظروا ويراقبوا ويصلوا. وجاء شخص ما بصواني شاي وفناجين وزعت مجاناً. وبدأت التقارير تظهر على الشاشة وكل منها يضيف معلومة صغيرة. وذكرت أربعة أسماء من بين المسافرين: رياضي شهير ودبلوماسي وميجور هارك شومان الذي كان عائداً من إقليم روكال ومعده زوجته وابنه وباسون ستيل.

وأهست ميراندا بمرحلة وهي تسمع الأخبار، لكن لم يكن هناك معلومات أكثر من تلك وسأل شخص ما: "لماذا لا تقولون لنا عما يفعلونه؟"

وبساد الصمت في الغرفة المليئة بالأغراب الذين قربتهم معا الرابطة المشتركة من الخوف والتوتر. لكن سير شارل رد على السؤال بقوله:

"انهم لا يريدون إذاعة أي تفاصيل لأسباب تتعلق بالأمن* وأوجأت الرؤوس موافقة. ومر الوقت بطيئاً، واقترب وقت الظهور الساعة التي كان يفترض فيها النزول الآمن

الطائرة. وعندئذ بدأ خوف آخر، التوقود وعامل الوقت. كم تستطيع الطائرة أن تبقى في السماء قبل أن ينفذ وقودها؟

كانت الأداة جمعاء تجلس الى التلفزيونات او الراديوها وتقلوبها وصلواتها مع الذين يصارعون القدر، وبدأت ميراندا تفقد الحس، لقد وصلت تقريباً الى مرحلة الرعب من صوت المذيع الذي لم يقل شيئاً جديداً، فقط الحقائق نفسها التي يعرفونها عن ظهر قلب. وقال ان الاجراءات اتخذت لتحويل كل الرحلات الأخرى الى أماكن أخرى عندما تصل الطائرة، لكن متى؟ وفجأة أعلن المذيع:

"لقد تم العثور على القنبلة" وبدأ الجميع يتصايحون وأخذ البعض منهم يصرخ فيهم طالباً الصمت، وتركزت العيون والأعصاب على الشاشة وعلى المذيع الذي قال: "والآن وأخيراً، يمكن أن نطعن الجميع على المائة وثلاثة وسبعين رجلاً وامرأة وطفلاً على الطائرة البوينغ ٧٠٧ التي كانت تحوم السماء فوق الضفة منذ الساعة العاشرة وأربعين دقيقة صباح هذا اليوم والركاب والمطاقم يقومون بالبحث عن القنبلة المخبأة في الطائرة، فقد تم اكتشافها، والآن سيقرر خبير المتفجرات اللذان يوهيان البحث: الخطوة التالية. وتأمل أن نوافيكم سريعاً بالأنباء التي يصلي الجميع لها، عندما يزول الخطر وتهبط الطائرة في سلام*.

ولفترة طويلة ساد الصمت الذي أعقب زفرات طويلة من القلوب. وعندئذ بدأت امرأة تبكي بحرقة.

وجال السير شارل على زوجته وميراندا وقال: "تدعرا بالشجاعة، سأذهب وأحاول الحصول على مزيد من المعلومات. ومضوا بالفعل، وخالت ميراندا أن دهرها انقضى على ذهابه فنظرت في الساعة فوجدت أن أربع دقائق فحسب مضت، فانتظرت من جديد ثم نظرت الى الساعة فوجدت أن تسع دقائق مرت. أين السير شارل؟ لماذا لم يمد.

وصاح شخص ما *

"انظروا! لقد فقدوا الاتصال، ماذا يعني هذا؟"

وأظهر على الشاشة ما يلي: تأسف فقدنا الاتصال مؤقتاً مع غرفة المراقبة. تأمل أن نوافيكم بالأخبار حالاً *

وقالت ليدي هيوبارد:

"فقدوا الاتصال مع غرفة المراقبة. لكن ذلك لا يعني أن غرفة الاتصال فقدت الاتصال بالطائرة؟"

وقالت لها ستذهب لتفتش من زوجها وأوصت ميراندا أن تلبس عليها ما تسعده من أخبار أثناء غيابها، لكن ميراندا لم تكن تريد أن تظل وحدها، وأنقذها أن السير شارل عاد وهو يقول:

"كل شيء سيكون على ما يرام أنها مقبلة الآن."

ومذاعج الجميع أيضاً هذا الطائرة، وهم لا يزالون خائطين، وسارعت عربات الطوارئ تتخذ مواقعها وأرغفت ميراندا سمعها وركبت بصرها على السماء، وهجأة صاح شخص ما: ها هي، وتنهى الجميع فرحاً، وبدأت الطائرة تقترب، وميراندا نلتها صالة محترمة.

ثم بعد جميع الطائرات يمثل هذه الخلاوة والعذوبة من قبل والطائرة تهبط وبدأ رويدار ونزلت محلاتها في يسر على الأرض وبدأت تتقدم على السير وينظر من سرها ثم تقف، وساد المهرج والمهرج، فالجميع يسودون الوصول إليها، ومتصايصون، والمسؤولون والشرطة يكررون التعليمات والأوامر، وعندئذ نزل أول راكب.

ظهرت سيدة شابة أولاً بسمها رجل طويل ومضيف، بدت السيدة شاحنة وبرمطة وتوقفت وظهرت خلفها حتى رأت مضيقاً ثانياً يحمل طفلها فأخذته من غيما يشبه الاضطراب.

كانت ميراندا لا هية عن كل ما حولها مركزة حواسها على طابور المسافرين، ولا حقت أن جاسون لم يكن يتجه إلى نقطة إليها الأجراءات التقليدية وأنها يتجه إلى جانب آخر

محاطاً برجال الأمن وانجوت مذعورة إلى السير شارل تساءل:

"ماذا يحدث؟ لماذا لا؟"

"ها هو جاسون."

والتفتت في عصف إلى حيث أشارت ليدي هيوبارد والسرور تنساب فياضة من عينيها، وصاحت وأخذت تلوح بيديها ليراهما لكنه كان يتجادل مع رجال الأمن فلم ينحطها وقال لها السير شارل:

"أعتقد أن عليك التدرج بالصبر فترة أخرى قصيرة، قلن لا نعرف بالذقة ما يحدث هناك، فلا بد أن يكون هناك استجواب، فلا شك أنهم يحصلون على أقوال الجميع قبل أن يذهبوا وقد وصل العسكريون إذا لم أكن مخطئاً."

وكانت كل استنتاجات السير شارل سلبية، وعندما جاءت لحظة اللقاء كانت ميراندا قد بلغت ذروة الشوق، ومتعها وجود السير شارل وزوجته من أن تلقي بنفسها بين ذراعيه، واكتفت بأن تقدمت خطوة للأمام منتظرة أن يحدد هو الخطوة التالية، ونظر إليها ونسيان مملوئتان أجهداً، وعلى قمة استقامة صغيرة غريبة ووضع يده على كتفها وخيل خذها قائلاً:

"ها بنا، فلتذهب من هنا."

وتدخل السير شارل في الحديث قائلاً:

"زوجتك معنا منذ هجاء الأسس... ومن ثم أعتقد أنه عليكها تمضية بقية مطلق نهاية الأسبوع معنا على شاطئ من هذه الجزيرة المحطمة للأعصاب."

ولم يعترض جاسون وشكره في أدب وغرق في الصحة وهو يركب السيارة، وقالت ليدي هيوبارد:

"حسناً يا جاسون لا تدعنا في حالة ترقب أكثر من هذا، وقل لنا ما حدث؟"

وسأل سير شارل:

"من المسؤول؟"

فرد جاك غابسا.

"الارهابيون كالعادة، لكن كان للمسألة طابع الانتقام الشخصي من المؤكد أن الميجور شومان كان هو الهدف الرئيسي، مع كل الرعب الذي كان سينجم عن ذلك لو نجح هذا الهجوم الذي استهدف بريطانيا بصفة عامة. ربما تتذكرون أننا وقفنا عقد ايجار جديد من ثلاث سنوات لاستخدام القاعدتين البحرية والجوية في روكال. ولسوء الحظ فإن عناصر التخريب في الجزيرة أصبحت خطيرة بحيث اضطررنا الى أخذها بالشدة. وقد جرى ارسال الميجور شومان هناك كمسؤول للأمن. وأطلقت يده لاتخاذ أي خطوات يراها ضرورية. ومدى نجاحه يمكن الحكم عليه من جو السلم الذي يسود الجزيرة حالياً. ومع ذلك، لم يكف أعداؤنا. فقد تلقى تهديدات بالانتقام في ثلاث مناسبات، كان الأخير في شكل رسالة ناسقة وجهت الى زوجته، لكنها لحسن الحظ فحّصت وأبطل مفعولها قبل أن تصل اليها، عندما كان هو...".

فقاطعه سير شارل سائلاً:

"هل هو ذلك الرجل ذو الرأس الكبير. أعتقد أنني أعرفه".

"نعم، هو، أنهى مهمته في روكال وكان في طريق العودة مع أسرته. وسأل سير شارل في لهفة:

"ماذا كان رد فعلكم عندما أخبروكم عن القنبلة؟ هل أخطروا الركاب؟"

"كنا قد أقلعنا تواً من فرانكفورت. وفي البداية قالوا أن هناك خطراً فنياً وأنه ليس هناك ما يخشى منه وأنها ستعود. ثم جاء الإعلان الثاني بأن هناك تغييراً في الاتجاه، وأنه ليس هناك ما يقلق. وبعد فترة لم يعلن شيء آخر ولم يستطع المضيفون أن يقولوا ماذا يحدث فبدأنا نتحلم. خاصة الميجور شومان. وأخيراً لم يكن هنا مناص من أخطارنا لأنه كان لابد من تفتيش الطائرة وكل من فيها. وتلك تجربة لا يتخيلها إلا من مارسها. وبدأ أربعة منا تحت قيادة ميجور شومان الذي تولى القيادة تلقائياً ومهندس الطائرة في تنظيم

التفتيش، وقررنا ألا نخطر الركاب المضطربة أعصابهم عما نفتش عنه وأخترعنا قصة عن سلاح مهرب وتهديد باختطاف الطائرة، وقد قبلوا هذه القصة بلا مناقشة، وجعل هذا الجميع مستعدين لتفتيشهم ولم تسفر المحاولة الأولى عن شيء فبدأنا نقلق بسبب التهديد بأن القنبلة في جهاز الانزال. لكن مهندس الطائرة أقسم أن هذا مستحيل وأكد أنه أشرف شخصياً على الإصلاح البسيط الذي تم في فرانكفورت وأدى الى تأخير الطائرة...". لقد كانت السيدة شومان هي التي وجدتها.

"أين؟"

"مخبأة في عربة الطفل، ابن شومان، كانت هي الشيء الوحيد الذي لم نفتشه".

وأصبح وجه ليدي هيووارد أبيض من الرعب وهي تتخيل ماذا كان سيحدث. وأحست ميراندا بالغثيان وهي تتصور الصدمة والكرب اللذين كان سيصيبان الأم وعمومت:

"كم هذا بغيض".

"نعم لقد كان بغيضاً. وعندما وجدنا القنبلة كان قد بقي على موعد انفجارها سبع دقائق فحسب. سبع دقائق بيننا وبين الموت. وكان هذان الخبيران من الجيش وكانا يتصلان بنا من غرفة المراقبة وعلى الأرض. وأبديا مهارة وخبرة في السبع دقائق، وصفا لنا القنبلة كما لو كانت أمام أعينهما وارشدانا الى طريقة ابطال مفعولها".

ولم يتحرك أي منهم من الصمت الذي تبع ذلك. وفجأة رن التليفون مما جعل ميراندا تقفز واقفة على قدميها. وسار السير شارل ليرد وما لبث أن قال جاسون:

"إنها الصحافة ولا شك أنهم يعرفون أنك هنا. وربما كان من الأفضل أن ترد وتنتهي منهم وسار جاسون الى التليفون. ونظر السير شارل الى الساعة وأوماً لزوجته التي نهضت في أعقابها وهي تقول لميراندا أنها ستذهب للإشراف على

اعداد الغداء . وأغلقت الباب خلفهما بهدوء واستمر جاسون في حديثه التليفوني وهو يوليها ظهره . وجلست هي متمسكة في مقعدها غير مصدقة كيف أنه نسي وجودها تماماً وراودتها الرغبة في تهرع اليه وتنزع السجاعة من يده وتجبره على أن ينظر اليها . لكنها أحست فجأة بالدوار والضعف وبالحذر ينتشر في أطرافها وشعرت أنه سيفقمى عليها ومع الخوف شعرت بعكس الأحاسيس التي انتابتها منذ لحظات . فقد طغت كرامتها على كل ما عاها وصممت ألا تجعل نفسها مثار سخرية . وقررت أن حنانها هو آخر شيء تريده وأخذت نفسها عميقاً، وصلت إلى الله ألا يستدير حتى تصل بها رجلاها المرتعشتان إلى الباب . وحدث هذا واستراحت في هواء الردهة البارد . لم يظهر أحد ووصلت إلى حجرتها في الطابق الأول متقطعة الأنفاس وارتمت على أول كرسي . لم تكن تدرك أن رد فعل ساعات الاجهاد والتوتر بدأ فجأة وفتح الباب واستدارت لترى جاسون يقول:

"ماذا هناك؟"

وهمست في صوت خفيض:

"لا شيء"

ونظر إلى وجهها الذي بدا أبيض كالعاج وسار إليها وأخذ يديها وبمجرد أن جسهما قال:

"أنك كالثلج . لماذا لا تقولين؟ سأحضر لك شراباً ساخناً ."

وخلع سترته ووضعها على كتفها . فقالت:

"لا أريد أي شيء ."

"لا أعتقد أنك في حالة تسمح لك بمعرفة ما تريدين ."

وبدت رنة سخط في صوته، فهزت رأسها وهي تحس خدراً وتقول في يأس:

"لا أريد ضجة ."

"ضجة، ما الأمر معك بحق الشيطان يا ميراندا؟"

"ألا يمكنك أن تدعني لشأني؟ لم أطلب منك أن . . ."

وأمسكها من كتفها وجعلها تقف على قدميها في مواجهته وهو يقول:

"ميراندا، هل ستدعين شبح ليسا يقف بيننا إلى الأبد؟ ألا تستطيعين أن تنسي؟"

لم تستطع أن تتحمل المزيد فانسابت دموعها منتحبة فجذبها إلى صدره وهو يقول:

"استمري، استمري في البكاء لتنتهي من كل هذا، وعندئذ ربما استطعنا أن نبدأ ونحدث بعقل ."

وواصلت البكاء حتى تماكنت نفسها وقالت:

"أنا أسفة . . . لم أرد أن أبدو حمقاء ."

"لماذا حمقاء؟ ولم الأسف؟ الآن وبعد أن تخلصت من هذا التوتر ستشعرين أنك أفضل وربما تجيبين على سؤالي ."

"أي سؤال؟"

"أنت تعرفين جيداً أي سؤال ."

"كيف أستطيع؟ أنك تحبها ."

"أحبها يا الله السماوات، أنا لا أحبها بل أحبك أنت ."

لا يمكن أن يكون هناك خطأ في كلماته . أنه من النوع الذي يزن كلماته جيداً أيا كانت الظروف وقالت له بصوت متهدج:

"أنك لم تقل هذا أبداً ."

"ألم أفعل؟ حسناً، أنا أقوله الآن ."

كانت تود تصديقه من كل قلبها . لكن الاقتناع لم يؤاتها وقالت له:

"كيف تتوقع مني أن أصدقك؟ تزوجتني كرد فعل لاخفاقك . . . أنت نفسك اعترفت بهذا ."

"ليس هذا حقيقة تماماً يا ميراندا . اننا جميعاً نقول أشياء ليست حقيقية كلها عندما نكون غاضبين، وكنت غاضباً للغاية في تلك الليلة . كنت غاضباً منك لأنك لم تصدقيني . وغاضباً من ليسا لأنها لم تدع الماضي يذهب . وقبل كل شيء كنت غاضباً من نفسي . لكن حتى حينئذ لم أكن مستعداً لأن

أكون أمينا مع مشاعري . والآن ساكون أمينا . لم أكن حقا
أؤمن بنوع الحب الذي كنت تبحثين عنه . فكل المثل التي
كنت أبحث عنها تحطمت في أوائل عمري . لقد صدقت في
أول حب لي ولم أنس هذا أبداً ، وكلما زادت تجاربي أدركت
أن الحب الذي تبحثين عنه وهم وسراب ، ربما لم أكن
محظوظاً مع النساء ، وكل من قابلتهن كن على الشاكلة
نفسها . انهن يردن رجلاً يرغبهن . ويشعرن فوراً في إثارة
الرغبات الجسدية ، ثم يبدأن في الصراخ عندما يأخذهن الرجل
بقيمهن ومعاييرهن ويكتشفن أنهم أثرن وهما وليس حبا .
ومن هنا يجيء تحطم القلوب . وعندما قابلت ليسا ظنتها
مختلفة ، ومرة أخرى كنت مخطئاً . ولذا فعندما قابلتك أدركت
أنك مختلفة ، لكنني لم أدع نفسي أعتقد أن زواجنا يمكن أن
يحقق في نهاية الأمر كل تلك القيم التي أوليتها ظهري ، وهي
القيم التي كنت تؤمنين بها بقوة . كنت أعرف أنك تحبينني
وأنك مخلصه لي ، لكنني كنت أريد ثقتك أيضا .

لماذا لم تقل لي كل هذا منذ وقت طويل مضي .
لأنني كنت مكابراً . لكنني تعلمت في تلك الدقائق السبع عن
الحياة وعن نفسي أكثر مما تعلمته في السبعة وثلاثين عاماً
التي مضت من عمري .

اعتقدت أنك لا تبالي . وعندما لم تتحدث الي في المطار الا
فيما ندر أنك لم تضع حتى قناع الجاذبية .
قناع الجاذبية ! هل هذا هو ما تعتقدينه عني ؟
لم أكن أعرف حتى أظنه فيك ؟

كيف كنت أستطيع أن أقول هذا الكلام في ذلك الوقت ،
وتحت بصر الآف العيون . أنا أسف يا عزيزتي ، ان أكون السبب
في كل هذه المتاعب لك .

وقبل خدعها وعينيها وأضاف :

أنا أحبك ، كيف أقنعك ؟

ولفت ذراعيها حول رقبتة وتحدثت به تاركة اكسير

الحب يحدث سحره ويشعل حرارته وهي تغفم :

أوه يا جاسون .

هل أنتهي كل هذا . هل تتذكرين ليلة زفافنا كنت تعسة
وامتني ، اليس كذلك ؟

كلا ، لمت نفسي .

قلت لي ذلك حينذاك . بينما كنت ما تزالين غير واثقة في
لكنك لا شك تعرفين الآن الجو الذي كنت أعيشه لتدركي أنك
عندما هربت مني تلك الليلة جعلتني راغباً في الاستحواذ
عليك بدرجة خشيت عاقبتها وكان علي أن ألزم نفسي
بالصبر . وكنت أعرف من البداية أنه وراء مظهرك البارد
تخفين كرمًا فياضاً في الحب ، للرجل المناسب . لكنك كنت
طفلة في طريق الحب ، والرجل المجرب لا يتوقع من الطفل أن
يجري قبل أن يتعلم المشي لذا تراجعته ، ضد رغباتي
الأنثوية ؟

لأنك كنت واثقة أنك الرجل المناسب .

هل تعتقدين أنني كنت أهتم لو لم أكن أحبك بصورة أعمق
حتى مما كنت أتصور أنا نفسي . كان علي أن أفكر في
مفهومك المثالي عن الحب ، وهو أنه في الحب يتعين على
الانسان أن يفكر في سعادة الطرف الآخر قبل أن يفكر في
سعادته هو .

أردت أن أصدق أنك وقعت في حبي ، لكنني كنت أخاف أن
أدع نفسي تصدق هذا ، لخوفي من مشاعري تجاهك ومن
سحرك الذي لا يقاوم لكنك كنت أمينا فيما يتعلق بالشيء
العادي .

أي شيء عادي ؟

أنك تريد ان تحبني .

آه يا حبيبتي الحمقاء . مهما كان الذي تعلمت أن تعتقديه عن
الرجال ورغباتهم ، فهناك جانب صغير عميت عنه ، قولني لي ،
هل تستطيعين أن تسمحني لأي رجل أن يتهلكك ؟

ونظرت اليه في رعب ولامحها تنطق بالاستنكار

العنيف، فأضاف:

• حسناً، ألا تعتقد أن الرجل يحس بالمشاعر نفسها ومهما كان ما سمعته عن الرجال، فإنهم قادرون على الأحساس بالحب في قلوبهم كما يحسون به في رغباتهم. وإذا كنت تعتقد أن هذا مستحيل، ألا تظنين أن هناك استثناءات وأن هذا الاستثناء هو أنا؟

فضحكت وهي تقول:

• بالطبع. أنا أسفة يا جاسون.

• لم؟

• لأنني لم أثق بك. لأن صبري نفذ ولم أنتظر نضج علاقتنا. لقد أفرطت في اللوم. ولم يكن لدي ثقة كافية. لقد عانيت من الشك والغيرة أرجوك أن تحبيني وأن تصفح عني، لأنني أحبك كثيراً.

فهمس لها:

• استعري في حبي.

وفي وسط هذا سمعا طرقاً على الباب فتركها وهو يلعن ويقول:

• ادخل.

ففتحت ليدي هيو بارد الباب وهي تقول:

• اليس هناك من يريد طعاماً، قاربت الساعة الرابعة والمائدة معدة في غرفة الطعام، وفي غرفة الجلوس ثلاثة صحفيين. والآنسة مايو سألت عنك وما إذا كانت تبقى في المكتب.

فرد جاسون وهو يرفع يده إلى جبهته:

• يا الهي، مسكينة مايو نسيت أنني قلت لها أن تنتظرنني في المكتب وأني سأحدثها وأنا في طريقي من المطار إلى البيت وأضافت ليدي هيو بارد:

• شارلي في المكتبة يتسلى مع المذيع، هل أقول أنكم ستنزلون خلال خمس دقائق.

فقال جاسون:

• كلا، أنتما ضيفانا اليوم.

وتراجعت وهي تقفل الباب في هدوء وهي تبسم لميراثدا وأنغمض جاسون عينيه وهو يقول:

• لن يكون هناك مهرب اليوم. لكنني أتساءل... اليس من الأفضل أن ننسل إلى مكان هاديء ليلاً.

• إذا أردت يا حبيبي، فكل ما يعنيني هو أن أكون حيث تكون.

وكان ذلك حقاً وصدقاً. فكل دواعي الاطمئنان التي بحثت عنها طويلاً موجودة هنا، بين ذراعيه وفي الحب الواضح في عينيه وفي الفرح البادي على وجهه. كان ذلك نهاية الحلم وبداية الواقع... كان ذلك هو زواجها.